بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تصدير

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلينَ أما بَعْدُ:

جَعَلْتُ هديَّتي لكَ فيهِ وَشْيًا وخيرُ الوَشْيِ ما نَسَجَ اللِّسانُ

بينَ يديكَ - أخي الكريمَ - رسالةٌ بِعنوانِ: «سلامةُ الصَّدْرِ» تذكيرًا بما فيها من عظيمِ الأجْرِ، وراحَةِ البَالِ!

بَسَطْتُ التعريفَ، وأَطَلْتُ النَّفَسَ بذكْرِ الفضائِلِ، وأَعْطَيتُ الأسبابَ حَقَّها، والموانِعَ مُسْتَحَقَّها، وخَتَمْتُ بِصُوَرٍ منها؛ حَتَّىٰ غَدَتْ كغادةٍ عَزَّتْ علىٰ طُلَّابِها، غاليةِ الوصلِ علىٰ أحبابِها، فَتَقَبَّلْهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ.

تُقَبِّلُهَا الأَفْوَاهُ حَتَّى كَأَنَّهَا ثغورُ الغواني فهي تُهوى وتُلْثَمُ

وباللهِ ذي الجلالِ والإكرامِ العَوْنُ علىٰ البَدْءِ والتَّمامِ[1].

وَكَتَبَهُ/ أبو عبدِ اللهِ

فيصلُ الحَاشديُّ

مكة ١٧ صفر ١٤٤١

(١) تنبيه: ما ذكرته بقولي: قال أستاذُنَا. فالمقصود عبد الكريم العماد - حَفِظَهُ اللهُ -.

تعريفُ سَلامةِ الصَّدْرِ

السَّلامةُ لُغَةً:

يَـــدُلُّ عَلـــى جُـــودهِ بـــشْرُهُ وقَـدْ يُعْـرَفُ الـرَّوْضُ بالرَّائِـدِ[١]

يقال: سَلِمَ المسافِرُ أي خَلُصَ ونَجَا من الآفاتِ فهو سالمٌ ومُعْظَمُ بابِ هذهِ المادةِ من الصِّحةِ والعافيةِ فالسلامةُ أَنْ يَسْلَمَ الإنسانُ من العاهةِ والأَذىٰ قالَ أهلُ العِلمِ: اللهُ - جلَّ ثناؤُهُ - هو السَّلامُ؛ لسلامتِهِ مما يَلْحقُ المخلوقين من العَيْبِ والنَّقْصِ والفناءِ، والسَّلامُ والسَّلَامةُ: البَرَاءَةُ[٢].

الصَّدْرُ لُغَةً:

أعلىٰ مُقَدَّم كُلِّ شيءٍ وكلُّ ما واجَهَكَ صَدْرٌ وصَدْرُ القَناةِ أعلاها وصَدْرُ الأمرِ أَوَّلُهُ كصَدْرُ النَّهارِ واللَّيْلِ وصَدْرُ الشِّتاءِ والصَّيفِ وما أَشْبَهَ ذلكَ، وصَدْرُ الإنسانِ الجُزْءُ المُمْتَدُّ من أسفلِ العُنُقِ إلىٰ فضاءِ الجَوْفِ وجَمْعُهُ: صُدورٌ، وسمِّي القلبُ صَدْرًا لحلولِهِ به وفي القرآنِ الكريمِ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [آلُ عِمرانَ: ٢٩][٣].

سلامةُ الصدرِ اصطلاحًا:

سلامةُ الصدرِ هو أَنْ تُصَفِّيَ صدرَكَ علىٰ أَخيك المسلمِ من الضَّغْنِ والغِلِّ وأمَّا الكافِرُ فلا يُصَفِّي لَهُ من ذلكَ شيئًا حتىٰ يَدْخُلَ في الإسلامِ.

---

(١) ديوانُ ابنِ الخياطِ (٣٠٧).

(٢) مقاييسُ اللغَة لِابنِ فارسٍ (٣/ ٩٠).

(٣) المحكمُ والمحيطُ لابنِ سِيدَهْ (٨/ ٢٨٢)، والمعجمُ الوسيطُ (١/ ٥٩٠).

قال الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَمَّا سَلَامةُ الصَّدرِ، فالمُرادُ به: عَدَمُ الحِقْدِ والغِلِّ والبغضاءِ»[١]. فسليمُ القَلْبِ والصَّدرِ هو مَنْ سَلِمَ وعُوفي فؤادُهُ من جميع أمراضِ القلوبِ وأَدْوَائِهَا، ومِنْ كلِّ آفةٍ تُبْعِدُهُ عن اللهِ تبارَك وتعالىٰ.

التفريقُ بينَ سلامةِ الصَّدْرِ وبعضِ المعاني:

وَالْفرقُ بَين سَلامَةِ الْقلبِ والبَلَهِ والتَّغَفُّلِ أَنَّ سَلامَةَ الْقلبِ تكونُ من عَدَمِ إِرَادَةِ الشَّرِّ بعد مَعْرفَتِهِ فَيَسْلَمُ قلْبُهُ من إِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ لَا من مَعْرفَتِهِ وَالْعلمِ بِهِ وَهَذَا بخِلَافِ البَلَهِ والغَفْلَةِ فَإِنَّهَا جَهْلٌ وَقِلَّةُ معرفةٍ وَهَذَا لَا يُحْمَدُ إِذْ هُوَ نَقْصٌ وَإِنَّمَا يَحْمَدُ النَّاسُ من هُوَ كَذَلِكَ لسلامَتِهِمْ مِنْهُ، والكمالُ أَنْ يكونَ الْقلبُ عَارِفًا بتفاصيلِ الشَّرِّ سليمًا من إِرَادَتِهِ[٢].

(١) في السلوكِ الإسلاميِّ القويمِ للشوكانيِّ (١٢١).

(٢) الروحُ لابنِ القَيِّمِ (ص٢٤٣/ ٢٤٤).

فضائِلُ سلامةِ الصَّدْرِ

١ - أَنَّها من صفاتِ المؤمنِ:

مــا زالَ يَقْــصُرُ كُــلُّ حُــسْنٍ دونَــهُ حتَّى تفاوَتَ عَن صِفاتِ النَّاعِتِ[١]

ومن فضائِلِ سلامةِ الصدرِ أنها صِفَةٌ من صفاتِ المؤمنِ الذي فَرَغَ قلبُهُ من الغِلِّ والحقدِ والبغضاءِ وغيرِ ذلكَ وقَصَرَهُ علىٰ رَبِّهِ ﷻ فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**المؤمنُ غِرٌّ**[٢] **كريمٌ، والفاجِرُ خِبٌّ**[٣] **لَئِيمٌ**»[٤].

قولُهُ: «**والمؤمنُ غرٌّ كريمٌ**» قال المباركفوريُّ: وفي النهايةِ: أي ليسَ بذي مَكْرٍ، فهو يَنْخَدِعُ لانقيادِهِ ولِينِهِ، وهو ضِدُّ الخِبِّ، يريدُ أَنَّ المؤمنَ المحمودَ من طبعِهِ الغرارةُ وقِلَّةُ الفِطْنَةِ للشَّرِّ وتركُ البَحْثِ عنه، وليسَ ذلك منه جَهْلًا، ولكنَّهُ كَرَمٌ وحُسْنُ خُلُقٍ، كذا في المرقاةِ. وقال المناويُّ: أيّ يَغُرُّهُ كُلُّ أَحَدٍ ويُغَيِّرُهُ كُلُّ شيءٍ ولا يَعْرِفُ الشرَّ وليسَ بذي مَكْرٍ، فهو ينخدعُ لسلامةِ صَدْرِهِ وحُسْنِ ظَنِّهِ. وقولُهُ: «**والفاجِرُ خِبٌّ لئيمٌ**» أي بخيلٌ لَجُوجٌ سيِّئُ الخُلُقِ[٥].

---

(١) ديوانُ أبي تمامٍ (٣٨٣).

(٢) الغِرُّ: الذي لم يُجَرِّبِ الأمورَ، وإنما جَعَلَ المؤمنَ غِرًّا نِسبةً له، إلىٰ سلامةِ الصَّدْرِ وحُسْنِ الباطِنِ والظَّنِّ في الناسِ. فكأَنَّهُ لم يجربْ بواطِنَ الأمورِ.

(٣) الخِبُّ: الخداع المكارُ الخبيثُ.

(٤) الترمذيُّ (١٩٦٤)، وأبو داودَ (٤٧٩٠) واللفظُ له، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في صحيحِ سُنَنِ الترمذيِّ (١٥٩٩) وقال محققُ جامعِ الأصولِ (١١/ ٧٠١): حديثٌ حَسَنٌ.

(٥) تُحْفَةُ الأحوذيِّ بشرحِ جامعِ الترمذيِّ (٦/ ٨٤). وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

٢ - أَنَّ صاحِبَ القلبِ السليمِ من أفضلِ الناسِ:

مـــا فـــيكُمُ إلَّا امـــرؤٌ فاضِـــلٌ يزهـــو علـــى الـــروضِ بأخلاقِـــهِ[١]

ومن فضائِلِ سلامةِ الصَّدْرِ، أَنَّ صاحِبَهُ من أفضَلِ الناسِ:

فعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قيل لِرَسُولِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخمومِ الْقلبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ**». قَالُوا: صدوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ النَّقِيُّ التَّقِيُّ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ**»[٢].

قولُهُ: «**مخمومُ القَلْبِ**» هو النَّقِيُّ الذي لا غِلَّ فيه ولا حَسَدَ. وهو من خَمَمْتُ البيتَ إذا كَنَسْتُهُ.

فَبَدَأَ بالتقوىٰ التي تُثْمِرُ صفاءَ القلوبِ، وسلامَتَها من الآفاتِ والرَّذائِلِ.

فدلَّ الحديثُ أَنَّ من أفضلِ الناسِ مَنْ نَظَّفَ قلبَهُ وطَهَّرَهُ من الغِلِّ والحِقْدِ والحَسَدِ.

قال أستاذُنَا حفظه الله:

سـلامةُ الـصدر قلـبٌ طـاهرٌ عَطِـرٌ لا فيـه إثـمٌ ولا غِـلٌّ ولا حَـسَدُ

رأيـتُ صـاحِبَها عَفَّـتْ مقاصِـدُهُ كأنـه بـين خَلْـقِ الله مُنْفَـرِدُ

٣ - أَنَّها من أسبابِ مَغْفِرَةِ الذنوبِ:

وَمِمَّـا شَـجَانِي والـشُّجُونُ كَثِيـرَة ذُنُـوبٌ عِظَـامٌ أَسْـبَلَتْ عَبَـراتِ[٣]

---

(١) التذكرةُ الفخريةُ (١٦).

(٢) أخرجَهُ ابنُ ماجَهْ (٤٢١٦) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في الصحيحةِ (٩٤٨).

(٣) القصائِدُ الزُّهديَّةُ (١/ ٥٦٦).

من فضائلِ سلامةِ الصدرِ أنَّ سليمَ الصدرِ لإخوانِهِ المؤمنين تُعْرَضُ أعمالُهُ علىٰ اللهِ فَيَغْفِرُ اللهُ له بخِلافِ مَنْ يأْتِيهِ الإثنينَ والخميسَ وما زالَ مُقاطعًا لإخوانِهِ هاجرًا لهم قد طُوِيَ كِشْحَهُ علىٰ الغِلِّ والحِقْدِ فأَيَّ حرمانٍ من الفَضْلِ العظيمِ قد حَرَمَ نَفْسَهُ؟!

فعَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وخميسٍ فَيغْفِرُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لكلِّ امرئٍ لَا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا إِلَّا امْرُؤ كَانَتْ بَينَه وَبَين أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيَقُولُ اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا**»(١).

لَهَوْنًا لَعَمْرُ اللهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ(٢)

٤ - أَنها صفةٌ من صفاتِ أهلِ الجَنَّةِ:

لَسْنَا نَمُوتُ ولا نَخَافُ وما لَنَا سَخَطٌ ولا ضَغنٌ مِنَ الأَضْغانِ(٣)

ومن فضائلِ سلامةِ الصدرِ أن سلامةَ الصدرِ من صفاتِ أهلِ الجنةِ وكفىٰ بذلكَ فضيلةً فاطَّرِحْ عنْكَ الغِلَّ، تَتَنَعَّمْ ببعضِ نعيمِ أهلِ الجَنَّةِ من راحةِ القلبِ، وانشراحِهِ ونعيمِهِ، وفراغِهِ من الغِلِّ الحِقْدِ والحَسَدِ والبَغْضاءِ.

فقد وصفَ اللهُ ﷻ المؤمنينَ عمومًا بأنَّهم يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحَشْرُ: ١٠].

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٤/ ١٩٨٧، رقم ٢٥٦٥).

(٢) القصائِدُ الزهدياتُ (١/ ٤٨٠).

(٣) القصائِدُ الزُّهْدِيَّاتُ (١/ ٤٥٠).

وقالَ ﷻ مُخْبِرًا عن مِنَّتِهِ علىٰ أهْلِ الجَنَّةِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ، يبيِّنُ اللهُ تعالىٰ أنَّ سَلَامةَ الصَّدرِ، ونقاءَ القلبِ من أمراضِهِ - والتي منها الغِلُّ - صفةٌ من صِفاتِ أهلِ الجنَّةِ، وميزةٌ من مِيزاتِهِمْ، ونعيمٌ يتنعَّمُون بهِ يومَ القيامةِ. وقال تعالىٰ في موضِعٍ آخَرَ من كتابِهِ الكريمِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجْرُ: ٤٧].

قال ابنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا إخبارٌ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ أنَّه ينقِّي قلوبَ ساكِنِي الجنَّةِ من الغِلِّ والحِقْدِ، وذلكَ أنَّ صاحِبَ الغِلِّ مُتَعَذِّبٌ به، ولا عذابَ في الجنَّةِ»(١).

٥ - أنَّها من أسبابِ دُخولِ الجَنَّةِ:

إنَّ التَّقِـيَّ جِنَـانُ الْخُلْـدِ مَـسْكَنُهُ ... يَنَـالُ حُـورًا عَلَيهـا التَّـاجُ وَالْحُلَـلُ(٢)

ومن فضائِلِ سلامةِ الصَّدْرِ أنها سببُ دخولِ الجنةِ دَلَّ عليه الحديثُ الآتي:

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي

(١) المُحَرَّرُ الوجيزُ في تفسيرِ الكتابِ العزيزِ (٢/ ٤٠١).

(٢) القصائِدُ الزُّهْدِيَّاتُ (٢/ ٤٢).

لَاحَيْتُ أَبي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وكانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّىٰ يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَال وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[1].

٦ - أَنَّها تقطَعُ أسبابَ الذُّنوبِ:

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنوبِ صِغارَها ... فالقَطْرُ منه تَدَفُّقُ الخِلْجَانِ[2]

---

(١) رواهُ عبدُ الرَّزاقِ (٢١٦٢١) وأحمدُ (١٢٤٠٥) والنَّسائيُّ في الكبرىٰ (١٠٥٩٧) قال المنذريُّ رحمهُ اللهُ تعالىٰ: «رواهُ أحمدُ بإسنادٍ علىٰ شَرْطِ البخاريِّ ومسلمٍ» ا. ه الترغيبُ والترهيبُ ٣/ ٣٤٨ وقال ابنُ كثيرٍ: «هذا إسنادٌ صحيحٌ علىٰ شَرْطِ الصَّحيحين» ا. هـ التفسيرُ ٤/ ٢٢٩ وقال ابنُ حَجَرٍ الهيثميُّ: «رواهُ أحمدُ بإسنادٍ علىٰ شرطِ الشيخينِ والنسائيُّ بسندٍ صحيحٍ أيضًا». الزواجِرُ (١/ ١٠٠) وقال محقِّقُوا المُسْنَدِ: إسنادُهُ صحيحٌ علىٰ شرطِ الشَّيخينِ.

(٢) القصائِدُ الزهدياتُ (١/ ١٦١).

من فضائِلِ سلامةِ الصدرِ انقطاعُ أسبابِ بعضِ الذنوبِ، فإنَّ مَنْ سَلِمَ صدرُهُ وطَهُرَ قلبُهُ عن الإراداتِ الفاسدةِ والظُّنونِ السيئةِ عَفَّ لسانُهُ عن الغِيبَةِ والنميمةِ وقالَةِ السُّوءِ؛ لِأَنَّ القلبَ المشحونَ بالأحقادِ، كَقِدْرِ الضَّغْطِ إذا لم يَتَنَفَّسْ بما فيه انْفَجَرَ ودَمَّرَ ما حولَهُ فكذلكَ القَلْبُ المَشْحُونُ بالأحقادِ يَتَنَفَّسُ بِذِكْرِ عيوبِ مَنْ يَغْلِي عليهِم قلبُهُ غَلَيَانَ القِدْرِ ومِن الغُبْنِ الفاحِشِ أَنْ يُهْدِيَ الرَّجُلُ حَسَنَاتِهِ لِمَنْ يَعْتَقِدُ بَغْضَهُ ويَضِنُّ بها عن أبيهِ وأُمِّهِ؟!

يُــشَارِكُكَ المُغْتَــابُ في حَــسَنَاتِهِ ... وَيُعْطِيــكَ أَجْــرَيْ صَــوْمِهِ وَصَــلاتِهِ

وَيَحْمِــلُ وِزْرًا عَنْــكَ ضَــنَّ بِحَملِــهِ ... عَــنْ النُّجْــبِ مِــنْ أبْنَائِــهِ وَبَنَاتِــهِ[1]

٧ - أَنَّها من أسبابِ راحةِ القَلْبِ:

خَلِّــصْ فــؤادَكَ مــن غِــلٍّ ومــن حَــسَدٍ ... فالغِــلُّ في القَلْــبِ مِثْلُ الغِــلِّ في العُنُــقِ[2]

ومن فضائِلِ سلامةِ الصدرِ أنه سببُ راحةِ القَلْبِ، وصلاحِ البالِ، وصفاءِ الذِّهْنِ، وعافيةِ البَدَنِ.

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَشْهَدُ السَّلَامَةِ وَبَرْدِ الْقَلْبِ وَهَذَا مَشْهَدٌ شَرِيفٌ جِدًّا لِمَنْ عَرَفَهُ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ. وَهُوَ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ وَسِرُّهُ بِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَىٰ، وَطَلَبِ الْوُصُولِ إِلَىٰ دَرْكِ ثَأْرِهِ، وَشِفَاءِ نَفْسِهِ. بَلْ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَيَرَىٰ أَنَّ سَلَامَتَهُ وَبَرْدَهُ وَخُلُوَّهُ مِنْهُ أَنْفَعُ لَهُ. وَأَلَذُّ وَأَطْيَبُ. وَأَعْوَنُ عَلَىٰ مَصَالِحِهِ. فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ فَاتَهُ مَا هُوَ أَهَمُّ عِنْدَهُ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْهُ. فَيَكُونُ بِذَلِكَ مَغْبُونًا. وَالرَّشِيدُ لَا يَرْضَىٰ بِذَلِكَ.

---

(١) مجموعةُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ٩٩).

(٢) الشَّكْوىٰ والعِتابُ (٨٦).

وَيَرَىٰ أَنَّهُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ السَّفِيهِ. فَأَيْنَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنِ امْتِلَائِهِ بالْغِلِّ وَالْوَسَاوِسِ، وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ فِي إِدْرَاكِ الِانْتِقَامِ؟[١].

وقال هلالُ بنُ العلاءِ: «جَعَلْتُ علىٰ نفسِي ألا أُكافِئَ أحدًا بِشَرٍّ ولا عقوقٍ اقْتداءً بهذهِ الأبياتِ:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نفسيَ مِنْ همِّ العداواتِ
إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عني بالتحياتِ
وأُظْهِرُ الْبِشرَ لِلإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كأَنَّهُ قَدْ حَشى قَلْبي مَحَبَّاتِ
النَّاسُ داءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمُ ... وفي اعتزالِهِمُ قَطْعُ المودَّاتِ
فَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعرِفُهُ ... فكيفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ المَوَدَّاتِ[٢]

٨ - أَنَّها من أسبابِ طِيبِ النَّفْسِ:

فيا قلبُ طِبْ نَفْسًا فَقَدْ فُزْتُ بالمُنَى ... ويا عينُ قد نِلْتِ الأمانَ فنامي

ومن فضائِلِ سَلامَةِ الصَّدْرِ للْمُسلمينَ أنه سَبَبُ طِيبِ النَّفسِ وسماحَةِ الْوَجْهِ، ورسولُ اللهِ ﷺ أطيبُ الناسِ نَفْسًا يَعْرِفُ ذلكَ أصحابُهُ مِنْ وَجْهِهِ.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ عَمِّهِ. قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ، فَجَاءَ النَّبِي ﷺ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ. فَقَالَ لَهُ: بَعْضُنَا: نَرَاكَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ. فَقَالَ: أَجَلْ، وَالْحَمْدُ لِله. ثُمَّ أَفَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَىٰ. فَقَالَ: لَا بَأْسَ بالْغِنَىٰ لِمَنِ اتَّقَىٰ. وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَىٰ خَيْرٌ

(١) مدارِجُ السَّالكينَ (٢/ ٣٠٤).

(٢) روضَةُ العُقَلاءِ (١٦٩).

مِنَ الْغِنَىٰ، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ[١].

دَلَّ الحديثُ علىٰ طِيبِ نَفْسِ النبيِّ ﷺ والنَّفْسُ إِنَّما تَطِيبُ بالتَّخَلُّصِ من غِلِّ القَلْبِ وقد طَهَّرَ اللهُ قَلْبَ نبيِّهِ ﷺ من كُلِّ نَقْصٍ وآفاتٍ وجَعَلَ قَلْبَهُ وِعاءَ الحكمةِ ومَنْبَعَ الرَّحْمَةِ.

أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نبـيٍّ زانَـهُ خُلُـقٌ ... بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ

كـالزَّهْرِ في تَـرَفٍ والبـدْرِ في شَـرَفٍ ... والبحـرِ في كَـرَمٍ والـدَّهرِ في هِمَـمِ

٩ - أَنَّها من أسبابِ حَمْلِ الأقوالِ والأفعالِ على معانِيها الحَسَنَةِ:

سَـقَى اللهُ حُـسْنَ الظَّـنِّ فيـكَ فإنَّـهُ ... طريـقٌ إلـى الغُـنْمِ الكـريمِ ومـنهَجُ[٢]

ومن فضائِلِ سلامةِ الصدرِ أنَّ سليمَ الصَّدْرِ يَتَقَبَّلُ ما يَصْدُرُ عن الآخَرينَ بِحُسْنِ نِيَّةٍ، ويحمِلُ الأقوالَ والأفعالَ علىٰ معانيها الحَسَنَةِ، لكنْ هل يجري ذلكَ علىٰ الكُفَّارِ؟

الجوابُ لا، حتىٰ يُسْلِموا ويكونوا مِثْلَنَا، ويدْخُلُ في ذلكَ الذينَ أَحْدَثُوا في الدينِ ما لم يَأْذَنْ بهِ اللهُ إلا الذينَ تابُوا وأَصْلَحُوا.

قال أستاذُنَا - حفظه الله -:

لـه حُـسْنُ ظـنٍّ لا يـرى فيـهِ رِيبـةً ... فكُـلُّ امْـرِئٍ مـن طِيبَـةِ الظَّـنِّ صـالحُ

يُـؤَوِّلُ أفعـالَ العبـادِ جميعَهـا ... علـى خيـر قـصدٍ لا يَـراهُ المُكاشِـحُ

وكل امرئٍ في صدرِهِ الشمسُ لا يـرى ... سـوادًا، وإن حامَـتْ عليـه المـصالحُ.

---

(١) أخرجَهُ أحمدُ ٤/ ٦٩ (١٦٧٦٠) والبخاريُّ في الأدبِ المُفْرَدِ (٣٠٢) و«ابنُ ماجَهْ» (٢١٤١)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في الصحيحةِ (١٧٤).

(٢) ديوانُ ابنِ الخَيَّاطِ (٢٦٥).

١٠ - أَنَّها صفةٌ من صِفاتِ نبيِّنا ﷺ:

أضاءَتْ بِكَ الدُّنيا فَعِشْتَ مُمَجَّدًا وغِبْتَ عن الدنيا وما زِلْتَ سَيِّدَا

سلامةُ الصَّدْرِ من صِفَةِ نَبِيِّنا ﷺ: فها هو يَذْهَبُ إلىٰ الطائِفِ عارِضًا نَفْسَهُ علىٰ وُجَهائِها وأَهْلِها، فنالَهُ منهم صُنوفُ الأَذَىٰ فما كان مِنْهُ إلا سَعَةُ الصَّدْرِ ونَقاءُ السريرةِ وحبُّ الخَيْرِ للجميعِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

فأَيُّ صَبْرٍ وسلامةِ صَدْرٍ هذا!!!. ثم تأَمَّلْ حالَهُ ﷺ حين ضَرَبَهُ قومُهُ فأَدْمَوْهُ «**أَسالوا دَمَهُ**» فَيَدْعُو لهم ويَعْتَذِرُ عنهم.

فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**»(٢).

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٠٥٩)، ومسلمٌ (١٧٩٥).

(٢) رواهُ البخاريُّ ٣٤٧٧ ومسلمٌ رقم (١٧٩٢).

وعَقَدَ ابنُ القيمِ فَصْلًا بعنوانِ سلامةِ الصدرِ وقال: «وَمَنْ أَرَادَ فَهْمَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَمَا يَنْبَغِي فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النَّاسِ يَجِدْهَا هَذِهِ بعَيْنِهَا. وَلَمْ يَكُنْ كَمَالُ هَذِهِ الدَّرَجَةِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ. ثُمَّ لِلْوَرَثَةِ مِنْهَا بحَسَبِ سِهَامِهِمْ مِنَ التَّرِكَةِ»(١).

إذا قيلَ فيكَ الشِّعْرُ جاءَ مُهَذَّبًا ... جَليَّ المعاني ليسَ فيه عَويصُ

ووَصْفُكَ يُعْطِي الْهَمَّ نُورًا كأَنَّهُ ... على الدُّرِّ في البحرِ الخِضمِّ يَغُوصُ(٢)

١١ - أَنَّها صفةٌ من صِفاتِ الصحابةِ رضي الله عنهم:

لو كانَ في الناسِ سَبَّاقونَ بعدَهُمُ ... فكلُّ سبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ(٣)

سلامةُ الصَّدْرِ من صفاتِ الصحابةِ رضي الله عنهم فقد كان لهم من هذهِ الصفةِ أوفَرُ الحَظِّ والنصيبِ، فكانوا رضي الله عنهم صَفًّا واحدًا، يَعْطِفُ بعضُهم علىٰ بعضٍ، ويرحَمُ بعضُهم بَعْضًا، ويُحِبُّ بَعْضُهم بَعْضًا، كما وصَفَهُم سبحانه بذلكَ حَيْثُ قال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشْرُ: ٩]، وقال سبحانه في وَصْفِهِمْ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفَتْحُ: ٢٩].

ولقد كانَ لسلامةِ الصدرِ عندَهُمْ منزلةٌ كُبْرَىٰ، حتىٰ أَنهم جَعَلُوها سَبَبَ التَّفاضُلِ بينهم، قال إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قُرَّةَ عن أصحابِ النبيِّ: كان أفضلُهم عندَهم أَسْلَمَهُمْ صَدْرًا وأَقَلَّهُم غِيبَةً(٤).

---

(١) مدارِجُ السَّالكينَ (٢/ ٣٢٨).

(٢) «ديوانُ الصَّرْصَرِيِّ» (٥٢).

(٣) مَجاني الأدبِ (٤/ ٢٠٣) ويُنْسَبُ الشِّعْرُ لِحَسَّانَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه.

(٤) أخرجَهُ الطَّبَرانيُّ في مكارِمِ الأخلاقِ [ص٣٨٨ رقم ٧٣].

وها هو سُفْيانُ بنُ دِينارٍ يقولُ: قُلْتُ لأبي بَشِيرٍ وكانَ من أصحابِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبِرْني عن أعمالِ مَنْ كانَ قبْلَنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيرًا ويؤجَرون كثيرًا». فقال سفيانُ: ولِمَ ذلكَ؟ قال: «لسلامةِ صدورِهم»(١).

وكان أبو الدَّرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو لِسَبْعِينَ من أصحابِهِ، يُسَمِّيهِمْ بأسمائِهِمْ، وهذا العَمَلُ علامةٌ علىٰ سلامةِ الصَّدْرِ»(٢).

عِصَابَةٌ عَظَّمَ الرَّحْمَنُ حُرْمَتَهَا ... وخَصَّها مِنْهُ إِكْرَامًا بِتَبْجِيلِ

هُمُ لُبَابُ الورى حَقًّا وَغَيرُهُمُ ... عِنْدَ الْحَقِيقَةِ أَبْقَالُ الغَرابِيلِ(٣)

١٢ - أنها صفةٌ من صفاتِ العُلَماءِ:

عفوًا لكَ اللهُ قد أَحْبَبْتُ طَلْعَتَكُمْ ... لأَنَّها ذَكَّرَتْني سَيْرَ أَسْلافي

من فضائِلِ سلامةِ الصدرِ أنها صِفَةٌ اتَّصَفَ بها علماءُ الأُمةِ الصادقون فهذا الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يُضرَبُ ويُعذَّبُ علىٰ يَدِ المعتَصِمِ، ولمَّا أتاهُ طبيبٌ لِيَنْتَزِعَ قِطْعَةً من جَسَدِهِ ماتَتْ من أَثَرِ ضَرْبِ جلَّادِيِّ المعتصمِ، وآلَمَهُ مِبْضَعُ الطبيبِ، وَضَعَ يَدَهُ علىٰ رأْسِهِ، وجَعَلَ يقولُ: «اللهمَّ اغفِرْ للمعْتَصِمِ»، وكَرَّرَها، حتىٰ انتهىٰ الطبيبُ، فقال الطبيبُ: «إنَّ الناسَ إذا امْتُحِنوا مِحْنَةً دَعَوا علىٰ مَنْ ظَلَمَهُم، ورأَيْتُكَ تدعُو للمعتصِمِ! قال: إني فَكَّرتُ فيما تقولُ، وهو ابنُ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ، فَكَرِهْتُ أَنْ آتيَ يومَ القيامةِ وبيني وبينَ أَحَدٍ من قرابتِهِ خصومةٌ، هو مِنِّي في حِلٍّ»(٤). سبحانَ اللهِ!! يستغفرُ لِمَنْ كانَ سَبَبًا في أَلَمِهِ.

---

(١) أخرجَهُ هنادٌ في الزُّهْدِ (٢/ ٦٠٠).

(٢) شرحُ صحيحِ البخاريِّ (٢/ ٤٥٠).

(٣) ديوانُ الإلْبِيرِيِّ (١٠١).

(٤) روضةُ العُقَلاءِ لابنِ حِبَّانَ (١٦٥).

وكـــان إمامًـــا في كتـــابٍ وســـنةٍ وعلـــمٍ وزهـــدٍ كامـــلٍ وتوكُّـــلِ
وكَـــانَ إمامًـــا في الحَـــدِيثِ وحُجَّـــةً علـــى نفـــي تـــشبيهٍ ودحْـــضِ مُعَطِّـــلِ

وقد كان شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك عجيبًا فريدًا فقد كان له خصومٌ من القُضَاةِ والعُلَماءِ، دَبَّروا له المكائِدَ، وحَرَّفوا كُتُبَهُ وحَرَّقُوا فتاوِيَهُ، وتَرَبَّصوا به عند الأُمراءِ، وقالوا فيه كُلَّ إِفْكٍ وباطِلٍ، ومع ذلك عَفا عنهم وتجاوَزَ وقال: «سامَحْتُ وعَفَوْتُ عن كُلِّ مَنْ آذاني إلا مَنْ آذىٰ اللهَ ورسولَهُ».

وكان القاضي ابنُ مخلوفٍ المالكيُّ قاضي قُضَاةِ المالكيةِ من خصومِهِ الأَشِدَّاءِ، فكان قد أَفْتَىٰ فيه، وأفتىٰ حتىٰ قال: إِنَّهُ «حَلالُ الدمِ» وسَجَنَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فلمَّا ظَفِرَ بهم شَيْخُ الإسلامِ، وَتَهَيَّأَتْ له الفُرْصَةُ، أَنْ ينتقمَ منهم عن طريقِ بعضِ الأُمراءِ عفا عنهم وسامَحَ، وكان أَحَدُ الأُمراءِ يريدُ البَطْشَ بهؤلاءِ لأَنَّهم كانوا قد وَقَفُوا مع أميرٍ آخَرَ ضِدَّهُ، فلما رَدَّ اللهُ لهُ مُلْكَهُ وسلطانَهُ قال لابنِ تَيْمِيَّةَ: أعطِني فتوىٰ فيهم وأنا أُرِيحُكَ منهم فقال: «هؤلاءِ علماءُ الأمةِ ولَنْ تَجِدَ أَحْسَنَ منهم وأفضلَ وهم الناصرون لك أيامَ المُلِمَّاتِ وأيامَ الشدائِدِ» فيقولُ ابنُ مخلوفٍ يعبِّرُ عن هذه النفسية الكريمةِ: «عَجَبًا لابن تيميةَ قَدَرْنَا عليه فأَدْخَلْنَاهُ السِّجْنَ وقَدَرَ علينا فحاجَجَ عَنَّا» هذا كان من أَشَدِّ خصومِهِ[1].

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْأَكَابِرِ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ.

---

(١) وقفةٌ بِهَيْئَةٍ (٢٢).

وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ.

وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ، وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً وَأَذًىٰ لَهُ. فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي وَاسْتَرْجَعَ. ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَىٰ بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ، وَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَىٰ مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ. وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ. فَسُرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ. وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالَ مِنْهُ. فَرَحِمَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ[1].

ومِمَّنْ عُرِفَ في عصرِنا بسلامةِ الصَّدْرِ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ:

يقولُ مَنْ يَقْرُبُ منه: ما رأينا أسلمَ من المسلمين صدْرًا منه، فهو لا يحْملُ حِقْدًا، ولا حَسَدًا، ولا غِشًّا ولا غِلًّا لأَحَدٍ، وهذه أخلاقُ العلماءِ، ينامُ وليسَ في قلبِهِ شيءٌ علىٰ إخوانِهِ. فيُخْبِرونه بِبعضِ ما يُقالُ عنه، فيقولُ: غَفَرَ اللهُ لهم، اللهمَّ اعْفُ عنهم وسامَحَهُمُ اللهُ.

ومن المواقِفِ التي تَدُلُّ علىٰ سلامةِ صَدْرِهِ - مع ذلكَ الرجلِ من الخَرْجِ، فقد تولَّىٰ الشيخُ القضاءَ في مدينةِ الخَرْجِ وجاءَهُ رجُلٌ في قضيةٍ فَسَبَّ الرجُلُ الإمامَ ابنَ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ، وشاعَ الخَبَرُ في المَدينةِ وخَرَجَ الشيخُ إلىٰ الحَجِّ، وبينما كان الشيخُ في الحَجِّ مَرِضَ الرجُلُ وماتَ، فلما قُدِّمَ الرجُلُ ليُصلَّىٰ عليه، أبىٰ الإمامُ الصلاةَ عليه بسببَ سَبِّهِ للشيخِ ابنِ بازٍ، وصلَّىٰ غيرُهُ، فلما رَجَعَ الشيخُ وأُخْبِرَ الخَبَرَ عاتَبَ الإمامَ جدًّا علىٰ فعلِهِ، ولم يَرْضَ ما صَنَعَ، ثم إنه سأَلَ عن قَبْرِ الرجُلِ فأتاهُ وصلَّىٰ عليهِ ودعا له. فأينَ نحنُ من هؤلاءِ؟!!

وقد نوَّه لذلك أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله في قصيدة رثاءٍ للشيخ رَحِمَهُ اللهُ فقال:

أنـــا لا أعـــدِّدُ لابـــنِ بـــازَ مناقبًـــا فالـــشمسُ لا تحتـــاج للألقـــابِ

---

(١) مدارجُ السَّالكينَ (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

أمسى ضياءً في الضريحِ وقد مضى ... دهرٌ، وكان النور في المحراب

يشكو الأنام له ولم يكُ عندهم ... معشارُ ما يُخفي من الأوصَابِ

صلى على قبر الذي قد ذمَّه ... وبَكاهُ بعد شتيمةٍ وسبابِ

كان السماحةَ والشجاعةَ والإخا ... والطهرَ والإيمانَ في جلبَاب

وحقيقةُ الإنسانِ في منظارِهِ ... أنَّ الترابَ يسيرُ فوق تُرابِ

أسبابُ سلامةِ الصدرِ

١ - الإخلاصُ:

يَنْـضَحُ الإخـلاصُ مـن أَعْطـافِهِمْ عَبَـقَ المَجْـدِ ولأْلاءَ الخِـصالِ[١]

قال أستاذنا عبد الكريم العماد حفظه الله:

يـا راجـيَ القلـب السـلـ ـيم عليـك بـالإخلاصِ دومـا
فالمخلـصون الصادقـ ـون أقـلُّ خلـقِ اللهِ إثمـا

الإخلاصُ من أعظمِ أسبابِ سلامةِ الصدرِ من الغِلِّ والحِقْدِ والحَسَدِ دَلَّ علىٰ ذلكَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إِلَىٰ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ. وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ**»[٢].

«**يَغِلُّ**» بفَتْحِ الْيَاءِ، مِنَ الغِلِّ وَهُوَ الحِقْدُ والشَّحْنَاءُ: أَيْ لَا يَدْخُلُهُ حقْدٌ يُزيلُهُ عَنِ الحقِّ وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْخِلَالَ الثَّلَاثَ تُسْتَصْلَحُ بهَا القلوبُ، فَمَنْ تَمسَّك بهَا طَهُرَ قَلْبُه مِنَ الخِيانةِ والدَّغَلِ والشَّرِّ[٣].

وقال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «قَولُهُ ثلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قلبُ مُسلمٍ إِلَىٰ آخِرِهِ أي لا يَحْمِلُ

---

(١) المذاهبُ الأدبيةُ (١٦٧).

(٢) أخرجَه أحمدُ (٥/ ١٨٣) والدارميُّ (١/ ٧٥) وأبو داودَ (٣٦٦٠) والترمذيُّ (٢٦٥٦) وصحَّحَه الألبانيُّ في الصحيحةِ (٤٠٣).

(٣) النهايةُ في غَريبِ الحديثِ (٣/ ٣٨١).

الغِلَّ وَلَا يبْقىٰ فِيهِ مَعَ هَذِه الثَّلَاثَةِ فَإِنَّهَا تَنْفِي الغِلَّ والغِشَّ وَهُوَ فَسَادُ الْقلبِ وسخايِمُهُ، فالمخلِصُ لِلهِ إخلاصُهُ يمْنَعُ غِلَّ قلبِهِ ويخرجُهُ ويزيلُهُ جُمْلَةً لأَنَّهُ قد انْصَرَفَتْ دواعي قلبِهِ وإرادتُهُ إِلَىٰ مرضاةِ رَبِّه فلمْ يبْقَ فِيهِ مَوضِعٌ لِلغلِّ والغِشِّ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فَلَمَّا أَخلصَ لرَبِّهِ صَرَفَ عنْهُ دواعي السُّوءِ والفَحْشاءِ فَانْصَرفَ عَنهُ السوءُ والفحشاءُ، وَلِهَذا لما عَلِمَ إبليسُ أَنَّهُ لَا سَبيلَ لَهُ علىٰ أهلِ الإخلاصِ استثناهم من شِرْطَتِهِ الَّتِي اشْتَرَطَها للغوايةِ والإهلاكِ، فَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

وَ«**عَلَيْهِنَّ**» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، تَقْدِيرُهُ لَا يَغِلُّ كَائِنًا عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

فالإخلاصُ هُوَ سَبيلُ الْخَلَاصِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ مَرْكَبُ السَّلامَةِ والإيمانُ خَاتَمُ الأمانِ»[1].

وقد كان السلفُ عندهم حِرْصٌ شديدٌ علىٰ التَّخَلُّصِ من الغِلِّ فهذا شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ عند تعليقِهِ علىٰ هذا الحديثِ وَقَوْلُهُ: «**لَا يُغِلُّ**» أَيْ لَا يَحْقِدُ عَلَيْهِنَّ. فَلَا يُبْغِضُ هَذِهِ الْخِصَالَ قَلْبُ الْمُسْلِمِ بَلْ يُحِبُّهُنَّ وَيَرْضَاهُنَّ. وَأَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ: مَا يَتَعَلَّقُ بي فَتَعْلَمُونَ - رَضِيَ اللهُ عَنْكُمْ - أَنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ يُؤْذىٰ أَحَدٌ مِنْ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ - فَضْلًا عَنْ أَصْحَابِنَا - بشَيْءٍ أَصْلًا لَا بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا وَلَا عِنْدِي عَتْبٌ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَلَا لَوْمٌ أَصْلًا بَلْ لَهُمْ عِنْدِي مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْإِجْلَالِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ أَضْعَافُ مَا كَانَ كُلٌّ بِحَسَبِهِ وَلَا يَخْلُو الرَّجُلُ. إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُصِيبًا أَوْ مُخْطِئًا أَوْ مُذْنِبًا. فَالْأَوَّلُ: مَأْجُورٌ مَشْكُورٌ.

---

(١) مفتاحُ دارِ السعادةِ (١/ ٧١).

وَالثَّانِي مَعَ أَجْرِهِ عَلَىٰ الِاجْتِهَادِ: فَمَعْفُوٌّ عَنْهُ مَغْفُورٌ لَهُ. وَالثَّالِثُ: فَاللهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُ وَلِسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَطْوِي بِسَاطَ الْكَلَامِ الْمُخَالِفِ لِهَذَا الْأَصْلِ. كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فُلَانٌ قَصُرَ فُلَانٌ مَا عَمِلَ فُلَانٌ أُوذِيَ الشَّيْخُ بِسَبَبِهِ فُلَانٌ كَانَ سَبَبَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فُلَانٌ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي كَيْدِ فُلَانٍ. وَنَحْوَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي فِيهَا مَذَمَّةٌ لِبَعْضِ الْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ. فَإِنِّي لَا أُسَامِحُ مَنْ أَذَاهُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[1].

إذا لـــم يَكُـــنْ للهِ فِعلُـــكَ خالِـــصًا ... فكـــلُّ بنـــاءٍ قـــد بَنَيْـــتَ خَـــرابُ[2]

٢ - النصيحةُ لِأَئِمَّةِ المسلمينَ:

مَحَـضْتُكُمُو يـا أهـلَ وُدِّي نـصيحةً ... ألا فَخُـذُوا مـن ناصِـحٍ بِنَـصِيبِ[3]

النصيحةُ لِأَئِمَّةِ المسلمينَ - أيضًا - من أسبابِ سلامةِ الصدرِ لقولِهِ ﷺ: «**ثلاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قلبُ مُسلمٍ إخلاصُ الْعَمَلِ للهِ ومُنَاصحَةُ أئمةِ الْمُسلمين وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دَعْوَتَهم تحيطُ من ورائِهِمْ**».

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: قَولُهُ ومُنَاصَحَةُ أَئِمةِ الْمُسلمين هَذَا - أيضًا - مُنَافٍ لِلْغِلِّ والغِشِّ فَإِنَّ النَّصِيحَةَ لَا تُجامِعُ الغِلَّ إِذْ هِيَ ضِدُّهُ فَمَنْ نَصَحَ الأئمةَ والأُمَّةَ فقد برِئَ من الغِلِّ[4].

احفـظْ نـصيحةَ مَـنْ بـدا لَـكَ نَـصْحُهُ ... وكـذاكَ رَأْيَ الحُـرِّ جَهْـدَكَ فاقْبَـلِ[5]

---

(١) الفتاوي (٢٨/ ٥٢ - ٥٣).

(٢) مجموعاتُ القصائِدِ الزُّهدياتِ (٢/ ١٢٦).

(٣) أخبار أبي نواس (٤).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٧٢).

(٥) الصداقة والصديق (١٩٤).

٣ - لُزُومُ جماعةِ المسلمينَ:

تركْــتُ لكــمْ بالــشَّامِ حَبْــلَ جماعــةٍ أَمِـينَ القُـوَى مُسْتَحْـصِدَ العَقْـدِ باقيـا[١]

لزومُ جماعةِ المسلمينَ من أعظمِ أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ كما دَلَّ عليه قولُهُ ﷺ: «**ثَلاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قلبُ مُسلمٍ، إخلاصُ الْعَمَلِ للهِ ومناصحةُ أَئمةِ الْمُسلمين وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دعوتَهم تحيطُ من ورائِهِمْ**».

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَولُهُ وَلُزُومُ جَمَاعَتهمْ هَذَا أيضًا مِمَّا يُطَهِّرُ الْقلبَ من الغِلِّ والغِشِّ فَإِنَّ صَاحَبَهُ لِلُزُومِهِ جمَاعَةَ الْمُسلمين يُحِبُّ لَهُم مَا يُحِبُّ لنَفسِهِ ويَكرَهُ لَهُم مَا يَكْرَهُ لَهَا ويسوؤُه مَا يَسُوؤُهم ويَسُرُّهُ مَا يَسُرُّهم وَهَذَا بخِلَافِ مَن انْحازَ عَنْهُم واشتغلَ بالطَّعْنِ عَلَيْهِم وَالْعَيْبِ والذَّمِّ لَهُم... وَقَولُهُ: فَإِنَّ دعوتَهُمْ تحيطُ من ورائِهِم هَذَا من أحْسَنِ الْكَلَامِ وأوجَزِهِ وأَفْخَمِهِ معنًى، شَبَّهَ دَعْوَةَ الْمُسلمينَ بالسُّورِ والسياجِ الْمُحِيطِ بهم الْمَانِعِ من دُخُولِ عَدُوِّهم عَلَيْهِم فَتلْكَ الدعْوَةُ الَّتِي هِيَ دَعْوَةُ الإِسلامِ وهم دَاخِلُونها لمَّا كَانَتْ سورًا وَسياجًا عَلَيْهِم أخْبَرَ أنَّ مَنْ لَزِمَ جمَاعَةَ المُسلمين أحاطَتْ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ التِي هِيَ دَعْوَة الإسلامِ كَمَا أحاطَتْ بهم فالدعوةُ تَجْمَعُ شَمْلَ الأُمَّةِ وتَلُمُّ شَعْثَها وتحيطُ بِهَا فَمَنْ دَخَلَ فِي جماعتِها أحاطَتْ بِهِ وشَمَلَتْهُ[٢].

٤ - العِلمُ النافِعُ مع العملِ الصَّالِحِ:

فَمَــا العِلــمُ إلَّا خَــشْيَةُ اللهِ والتُّقَــى فكُــلُّ تَقِــيٍّ في العُيــونِ جَلِيــلُ[٣]

---

(١) التذكرةُ الحمدونيةُ (٦/ ٢٣٦).

(٢) مدراجُ السَّالكِينَ (١/ ٧٢ - ٧٣).

(٣) مجموعةُ القصائِدِ الزُّهدياتِ (١/ ٤٠٧).

العلمُ النافِعُ والعملُ الصَّالحُ مِن أعظمِ أسبابِ سلامة الصَّدْرِ فَكُلَّما اتَّسَعَ عِلْمُ العَبْدِ وحَظِيَ بالقُرْبِ من موالاهُ انْشَرَحَ صدرُهُ واتَّسَعَ، وعَذَرَ الناسَ من أنفُسِهِمْ إِذْ ليسَ في القَلْبِ مكانٌ إلىٰ ما يُعَكِّرُ صَفْوَهُ، بعد أنْ حلَّ فيهِ العلمُ باللهِ، والإخْلَاصُ له، والتوكُّلُ عليه، وحُبُّهُ، وخوفُهُ ورجاؤُهُ.

ذوو العِلْمِ في الدنيا نُجومُ هِدايةٍ ... إذا غَابَ نَجْمٌ لاحَ بَعْدُ جَدِيدُ

بهِمْ عَزَّ دينُ اللهِ طُرًّا وهُمْ لَهُ ... مَعَاقِلُ مِنْ أعْدَائِهِ وجُنُودُ[1]

٥ - الابْتِعَادُ عنِ الذُّنوبِ والمعاصِي:

لا تَحْقِرَنَّ من الذنوبِ صغيرًا ... إنَّ الصغيرَ غدًا يعودُ كبيرًا[2]

من أسبابِ سلامةِ الصدرِ الابتعادُ عن الذنوبِ والمعاصي؛ لأنَّها بابُ كُلِّ شَرٍّ، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ: «**ما توادَّ اثنانِ في اللهِ عزوجل أو في الإسلامِ: فَيُفَرَّق بينهما إلا بذنبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهما**»[3].

فيَجِبُ علىٰ العبدِ التوبةُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ من جميعِ الذنوبِ، والإنابةُ والرُّجوعُ إليه، ومحبَّتُهُ، والإقبالُ عليه، والتنعُّمُ بعبادتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عسىٰ القلوبُ أنْ تعودَ صافيةً كما كانَتْ.

قال ابنُ المعتَزِّ:

خَلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها فهو التُّقَى

---

(١) المرجَعُ السابِقُ (١/ ٨٩).

(٢) الازدهارَ (٤).

(٣) البخاريُّ في الأدبِ المفْرَدِ، برقم ٤٠١، بلفظ: «... **فَيُفَرِّقُ بينهما أولُ ذنبٍ يُحْدِثُهُ أحَدُهما**» ولكنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللهُ بيَّنَ أنَّهُ في الأصولِ التي رَجَعَ إليها: «**إلا بِذَنبٍ يُحْدِثُهُ أحَدُهما**»، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ الأدبِ المُفْرَدِ (ص١٥٨)، وفي الصحيحةِ (٦٣٧).

واصْـــنَعْ كَمَـــاشٍ فـــوقَ أرْضِ الـــشَّوكِ يَحْـــذَرُ مـــا يَـــرَى
لا تَحْقِـــرَنَّ صـــغيرةً إنَّ الجبـــالَ مـــن الحَـــصَى[١]

٦ - صَومُ رمضانَ مع صومِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شَهْرٍ:

لا زالَ شـهرُ الـصومِ يَخْـتِمُ بالهَنـا لـكَ والثَّـوابِ وفيهمـا يُـستَفْتَحُ[٢]

صومُ رمضانَ مع صومِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ حِقْدَ، وغِشَّ، ووَسْوَسَةَ الصَّدَر، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**صومُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبْنَ وحَر الصَّدْرِ**»[٣].

ووَحَرُ الصَّدْرِ: هو غِشُّهُ، ووَسَاوِسُهُ، وقِيل: الحِقْدُ والغَيْظُ، وقِيلَ: العداوةُ، وقيلَ: أشَدُّ الغَضَبِ[٤].

فَمَنْ حافَظَ علىٰ صيامِ ثلاثةِ أيامٍ مِنْ كلِ شَهْرٍ مع صيامِ رمضانَ، ذَهَبَ عنه بِإِذنِ اللهِ تعالىٰ: حَسَدُ قَلْبِهِ، وغِشُّهُ، وحِقْدُهُ، ووساوسُهُ، وغَضَبُهُ وغَيْظُهُ.

تَلَقَّيْـتَ شَـهْرَ الـصَّوْمِ بـالبِرِّ والتُّقَـى تـودُّ بـأنْ لا ينقـضي ذلـك الـشَّهْرُ
وَوَدَّعَ يُثْنِـي بالـذي أنـتَ أهلُـهُ وقـد حَلَّـتِ الزُّلْفَـى وقـد عَظُـمَ الأَمْـرُ
ووافـاكَ شـهرُ الـصَّومِ يَزْهَـى بِغُـرَّةٍ تُزَفُّ بها البُشْرى ويبدو بها البِشْرُ[٥]

---

(١) موسوعةُ الشِّعرِ الإسلاميِّ (٣٢/ ٣٣٩).

(٢) ديوانُ ابنِ مَعْتُوقٍ (١٤٥).

(٣) أحمدُ في المُسْنِدِ (٣٨/ ١٦٨) (٣٤/ ٣٤٠) من حديثِ الأعرابيِّ الصحابيِّ، قال مُحَقِّقوا المُسْنَدِ: إسنادُهُ صحيحٌ رجالُهُ رجالُ الشيخين، غيرَ صَحَابِيَّةٍ وأخرجَهُ البزارُ برقمِ (١٠٥٧) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ الترغيبِ (١/ ٥٩٩).

(٤) النهاية في غريب الحديثِ (٥/ ١٦٠).

(٥) ديوانُ لسانِ الدِّينِ الخَطِيبِ (٤٨٦).

٧ - البشاشَةُ والبِشْرُ:

ولاقٍ ببــشرٍ مــن لَقِيْــتَ تكُــنْ لَــهُ صـديقًا وإنْ أمْـسَى مُغِبًّـا على حِقْـدِ[١]

ومن أسباب سلامةِ الصَّدْرِ أَنْ تلقىٰ الناسَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ فإنَّ فيه بَلْسَمًا للجروحِ وعلاجًا للأحْقادِ مع ما فيهِ من اكتسابِ الأَجْرِ والتَّخَلُّقِ بأخلاقِ النُّبوَّةِ.

فعَن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيئًا، ولَوْ أنْ تَلْقَىٰ أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ**[٢]»[٣].

وعَن أبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أخِيكَ صدَقَةٌ**»[٤].

وعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا حَجَبَنِي رسولُ الله ﷺ مُنْذُ أسْلَمْتُ، وَلَا رآنِي إلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»[٥].

قال العلامةُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيهِ أَنَّ لِقاءَ الناسِ بالتَّبَسُّمِ، وطلاقَةِ الوجْهِ من أخلاقِ النُّبُوَّةِ، وهو مُنافٍ للتَّكَبُّرِ، وجالبٌ للمودَّةِ»[٦].

قِيْلَ للعتابِّي: «إنَّكَ تَلْقَىٰ الناسَ كلّهم بالبِشْرِ!

قال: دَفْعُ ضَغِيْنَةٍ بأيسَرِ مَؤُونةٍ، واكتسابُ إخوانٍ بأَيْسَرِ مَبْذُولٍ»[٧].

---

(١) الصداقةُ والصديقُ (٢٤٠).

(٢) رواهُ مسلمٌ (٢٦٢٦).

(٣) طَلْقٌ: الطَّلاقَةُ: البشَاشَةُ والبِشْرُ.

(٤) (صحيحٌ) أخرَجَهُ البخاري في الأدبِ المُفْرَدِ (٨٩١)، والترمذيُّ (١٩٥٦)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ الجامِعِ (٢٩٠٥).

(٥) رواهُ البخاريُّ (٣٠٣٥)، ومسلمٌ (٢٤٧٥).

(٦) عُمْدةُ القاري شرحُ صحيحِ البُخاريِّ (١٤/ ٢٨٠)، وانظر: شرحَ الكَرمانيِّ علىٰ صحيحِ البخاريِّ (١٥/ ٥٩).

(٧) بهجةُ المجالِسِ (٢/ ٦٦٥).

وقال محمدُ بنُ حازم:

وما اكْتَسَبَ المحامِدَ حامِدُوها ... بمثلِ البِشْرِ والوَجْهِ الطَّلِيْقِ[١]

وقال أعرابيٌّ: «البِشْرُ سِحْرٌ، والهديَّةُ سِحْرٌ، والمساعَدَةُ سِحْرٌ»[٢].

وقال العنزيُّ:

الق بالبِشْرِ مَنْ لَقِيْتَ من النا ... سِ جَمِيعًا ولاقِهِمْ بالطلاقَه

تَجْنِ منهم بِهِ جناءَ ثمارٍ ... طَيِّبًا طعمُهُ لذيذٌ الذاقَهْ

ودعِ التيهَ والعبوسَ عن النا ... سِ فإنَّ العُبوسَ رأسُ الحَماقه[٣]

وقال القاضي التنوخيُّ:

اِلْقَ العَدُوَّ بوجْهٍ لا قُطوبَ به ... يَكادُ يَقْطُرُ مِنْ ماءِ البَشاشاتِ

فأحْزَمُ الناسِ مَنْ يَلْقى أعادِيَهُ ... في جِسْمِ جِقْدٍ وثَوْبٍ من مَودَّاتِ[٤]

وقال أبو فراسٍ:

وأحَبُّ إخوَاني إليَّ أبَشَّهُم ... بصديقهِ في سِرِّهِ أو جَهْرِهِ

لا خيرَ في برِّ الفَتَى ما لَمْ يَكُنْ ... أصْفَى مشارِبِ بِرِّهِ في بِشْرِهِ

ألقى الفَتَى فأُرِيدُ فائض بِشْرِهِ ... وأُجِلُّ أنْ أرضى بفائِضِ بِرِّهِ

يا رُبَّ مُضْطغِنِ الفؤاد، لقيتهُ ... بطَلاقَةٍ، فَسَلَلْتُ مَا في صَدْرِهِ[٥]

---

(١) بهجةُ المجالِسِ (٢/ ٢٩٨).

(٢) الصداقَةُ والصديقُ (ص١٨١).

(٣) المُوَشَّى (٣٩).

(٤) الذخائِرُ والعبقرياتُ (٢/ ١٤٧).

(٥) ديوانُ أبي فراسٍ الحَمْدانيِّ (٢٠٠ - ٢٠١).

وقال أَسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -:

بشوشٌ لَهُ وَجْهٌ من البدر قطعةٌ إذا سَارَ بين النَّاسِ يَسْبِقُهُ البِشْرُ
وفيه الذي فيه مِنَ الضُّرِّ كَامِنٌ وأخلاقُهُ تُبْدِيهِ ليس بِهِ ضُرُّ

٨ - إفشاءُ السَّلامِ:

قَدْ يَمْكُثُ الناسُ حينًا ليسَ بينَهُمُ وُدٌّ فَيَزْرَعُهُ التَّسليمُ واللُّطْفُ

إفشاءُ السلامِ من أسبابِ إصلاحِ القَلْبِ وسلامةِ الصَّدْرِ فَعَنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنوا ولا تُؤْمِنوا حتىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ علىٰ شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السلامَ بَيْنَكُمْ**»(١).

«**أَفْشُوا السَّلَام**» بَيْنَكُم فَإِنَّكُم إنْ فَعَلتُمْ ذلك «تَسْلَموا» من التَّنَافُرِ والتقاطُعِ وتدومُ المودَّةُ وتجتمعُ الْقُلُوبُ وتَزُولُ الضَّغائِنُ والحروبُ(٢).

والسلامُ يَدُلُّ علىٰ تواضُعٍ وَبُعْدٍ عِنِ الكِبْرِ والاحتقارِ كما يُذْهِبُ الضَّغَائِنَ، ويَقْضِي علىٰ القطيعةِ قال بعضُهُم: إِنَّهُ أَدْفَعُ للضغينةِ بغَيْرِ مُؤْنةٍ واكتسابُ أُخُوَّةٍ بأهونِ عَطِيَّةٍ(٣).

٩ - بعث السلام:

أَقْرِ بني السَّلامَ إن جِئْتَ قومي وقليلٌ لهمْ لديَّ السَّلامُ

من أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ بَعْثُ السَّلامِ لِمَنْ تَوَدُّ سواءً عن طريقِ أخٍ لَكَ أو عَبْرَ وسائِلِ التواصُلِ؛ فإنَّ ذلكَ يُسْتَدَلُّ به علىٰ سلامَةِ صَدْرِكَ له، فيبادِلُكَ التَّحِيَّةِ بأَحْسَنِ

(١) رواهُ مسلمٌ (٥٤).
(٢) التيسيرُ بشَرْحِ الجامِعِ الصغيرِ (١/ ١٧٩).
(٣) فَيْضُ القَدِيرِ (٢/ ٢٣).

منها ويَصْفو لك وَدُّهُ بأَجْمَلِ مِمَّا تَوَدُّ وبَعْثُ السَّلامِ للغَيرِ سُنَّةٌ من سُنَنِ المُرْسَلِينَ - فعَنْ أبي قِلَابَةَ، عَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ صَلَّىٰ اللهُ عليهِمَا وسَلَّمَ**»(١).

ما زِلْتُ بَعدَكَ يا أَخِي في حسْرَةٍ ... وتَلَدُّدٍ حتى أراكَ سليمَا

أَقْرِ السَّلامَ عليكَ مِنِّي كُلَّما ... جَرَتِ الرياحُ فأَنْشَقَتْكَ نسيمًا(٢)

وقَال أُستاذُنَا - حَفِظَهُ الله -:

أَفْشِ السَّلامَ على الأنامِ وأَقْرِهِ ... للأبعدين معمَّمًا مشمولا

وامْحُ الضغائِنَ من فؤادكَ كلَّها ... لتكونَ بالصَّفْحِ الجميلِ جميلا

١٠ - الكلمةُ الطَّيِّبَةُ:

فتى صبيغ من ماءِ البَشَاشَةِ وجْهُهُ ... فأَلفاظُهُ جود وأنفاسُه مَجْدُ

من أسباب سلامةِ الصَّدْرِ الكلمةُ الطيبةُ، فالكلمةُ الطيبةُ هي السِّحْرُ الحَلالُ ومفتاحٌ من مفاتيحِ القلوبِ تُزِيلُ عن أخِيكَ ما قد عَلِقَ به من ضَغَنِ القلوبِ.

واللهُ ﷻ يوفِّقُ مَنْ يَشَاءُ من عبادِهِ للكلمةِ الطَّيِّبَةِ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحَجُّ:٢٤]، ويأمُرُنا بإشاعةِ الكلمةِ الطيبةِ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرةُ:٨٣].

ويُخْبِرُنا أنَّهُ متىٰ عَدَلْنا عن الكلمةِ الطيبةِ إلىٰ غيرِها فقد فَتَحْنا ثغرةً يَنْفُذُ منها الشيطانُ لِيُوقِعَ بينَنا العداوةَ والبَغْضَاءَ.

---

(١) أخرجَهُ الحَاكِمُ (٨٦٣٥)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في الصحيحةِ (٢٣٠٨).

(٢) ديوانُ أبي تَمَّامَ (٢٢٦).

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء:٥٣].

وأَخْبَرَ أَنَّ السيئةَ لا تُقَابَلُ بمثلِها بَل بأَحْسَنَ منها:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فُصِّلَتْ:٣٤، ٣٥].

قال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتأَمَّلُوا أيُّها العارفون باللغةِ العربيَّةِ كيفَ جاءَتْ النتيجةُ بإذا الفُجائِيَّةِ، لأَنَّ إذا الفجائية تَدُلُّ علىٰ الحُدُوثِ الفَورِيِّ في نتيجتِها: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت:٣٤]، ولكِنْ ليسَ كُلُّ أَحَدٍ يُوَفَّقُ لذلكَ قالَ: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٥]»[(١)].

وأَثْنَىٰ علىٰ عبادِهِ بأَنَّهم لا يَرُدُّونَ علىٰ الجاهِلِين بِمِثْلِ قولِهِمْ، ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفُرقان:٦٣].

ومع ذلك فالكلماتُ الطيبةُ تجري من المؤمِنِ مَجْرَىٰ الذِّكْرِ فعَنْ أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ، قالَ: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ...**»[(٢)].

فدونَكَ تأديباتٌ من اللهِ ﷻ عُضَّ عليها بالنواجِذِ فمَنْ لا يَقْبَلُ هَدَىٰ اللهِ ابْتَلاهُ اللهُ بِقَبُولِ ضِدِّهِ والعياذُ باللهِ.

إني أرى ألفاظَكَ الغُرَّا ... عطَّلْتِ الياقوتَ والدُّرَّا

لَكَ الكلامُ الحُرُّ يا من غدا ... معروفُهُ يَسْتَعْبِدُ الحُرَّا[(٣)]

---

(١) مكارِمُ الأخلاقِ (٢٦).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٧٠٧)، ومسلمٌ (١٠٠٩).

(٣) ديوانُ الثَّعالبيِّ (٦٢).

١١ - الهديَّةُ:

إذا دخـــلَ الهديـــةُ دارَ قـــومٍ تَطَـايَرَتِ العـداوةُ مـن كُواهـا[١]

الهديةُ تؤلِّفُ بينَ القلوبِ المُتنافِرَةِ وتَنْفِي سَخَائِمَ الصُّدورِ، فعَنْ أبي هُرَيرَةِ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**تَهَادُوا تحابُّوا**»[٢].

قال الجاحِظُ: ما اسْتُعْطِفَ السُّلْطَانُ ولا اسْتُرضِيَ الغَضْبَانُ ولا أُزِيْلَتِ السَّخائِمُ ولا اسْتُدفِعَتْ المغارِمُ بمثلِ الهدايا، وقالوا: في نَشْرَ المُهَاداةِ طَيُّ المعاداةِ[٣].

وقال ابنُ حبَّانَ: «وإنِّي لَأَسْتَحِبُّ للناسِ بَعْثَ الهدايا إلىٰ الإخوانِ بينَهم؛ إذِ الهديةُ تُورِثُ المَحَبَّةَ وتُذْهِبُ الضَّغِينَةَ»[٤].

إن الهديـــــــةَ حلـــــــوةً كالـــــسحرِ تَجْتَـــذِبُ القُلوبَـــا
تُـــدْني البعيـــدَ عـــن الهَـــوَى حَتَّـــى تُـــصَيِّرُهُ قَرِيبًـــا
وتعيـــدُ مُـــضطَغِنَ العـــدا وةِ بعـــد بَغْـــضَتِهِ حبيبًـــا
تَنْفِـــي الـــسخيمةَ عـــن ذوي الـــشَّـ ـــحْنا وتَمْتَحِـــقُ الـــذُّنوبا[٥]

١٢ - الصَّدَقَةُ والإحسَانُ:

أَحْـسِنْ إلـى النـاس تَـسْتَعْبِدْ قُلُـوبَهُمُ فطالمـا اسـتعبد الإنـسانَ إحْـسَانُ[٦]

---

(١) التُّحَف والهدايا (٣٤).
(٢) (حَسَنٌ) رواهُ البخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٣٢٢)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٠٠٤).
(٣) التُّحَفُ والهدايا (٣٩).
(٤) روَضَةُ العُقَلاءِ (٢٤٢).
(٥) المرجَعُ السابِقُ (٢٤٢).
(٦) رسائل الثعالبي (٤٣).

الصدَقةُ والإحسانُ إلىٰ الناسِ من أعظمِ أسبابِ سلامةِ الصُّدورِ؛ ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الصَّدَقةُ علىٰ ذِي الرَّحمِ الكاشِحِ**»(١)، والمعنىٰ أنَّ أفضلَ الصدقةِ علىٰ ذي الرَّحِمِ القاطِعِ الذي يُضْمِرُ عداوتَهُ في كِشحِهِ: وهو باطِنُهُ، وخَصْرُهُ(٢)، فإذا كان هذا في حقِّ ذي الرَّحِمِ الكاشِحِ فغيرُهُ منَ بابٍ أولىٰ سِيَّما الجارُ والصديقُ والزميلُ والشريكُ، فهؤلاء ومَنْ في حُكْمِهِم يَحْصُلُ في حَقِّهم بَعْضُ ما يُعَكِّرُ صَفْوَ القلوبِ، لِقُرْبِهِمْ؛ فالصَّدَقَةُ والإحسانُ بلسمٌ للجروحِ ومصايدٌ للقلوبِ؛ فإذا لم تكُنْ هناكَ جروحٌ فهي مصايدُ القلوبِ:

تركْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مالُهُ ... وأَنْعَلْتُ أفْراسِي بنعماكَ عَسجَدًا

وقُيِّدْتُ نفسي في هواكَ مَحَبَّةً ... ومَنْ وَجَدَ الإحسانَ قَيدًا تَقَيَّدَا(٣)

١٣ - أنْ يُحِبَّ المؤمنُ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ:

وأَحْبِبْ لِحُبِّ اللهِ مَن كانَ مُؤمِنًا ... وأبْغِضْ لِبُغْضِ اللهِ أهْلَ التَّمَرُّدِ(٤)

من أسباب سلامةِ الصدرِ أنْ يُحِبَّ المؤمنُ لِأَخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ.

فعَنْ أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قالَ: «**ولَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ**»(٥).

قال ابنُ العَرَبيِّ رحمه اللهُ تعالىٰ: «لا يكونُ القَلْبُ سَلِيمًا إذا كان حَقُودًا حَسُودًا

---

(١) أحمدُ (٢٤/ ٣٦)، والحاكمُ (١/ ٤٠٦)، وصحَّحَه الألباني في إرواء الغليل (٨٩٢).

(٢) النهايةُ في غريبِ الحديثِ لابن الأثيرِ (٤/ ١٧٦).

(٣) المُتَنَبِّي ما لَهُ وما عليه (٣٦).

(٤) القصائدُ الزهدياتُ (١/ ٣١٤).

(٥) رواهُ البخاريُّ (١٣)، ومسلمٌ (١٣٤) واللفظُ لهُ.

مُعْجَبًا مُتَكَبِّرًا وقد شَرَطَ النبيُّ ﷺ في الإيمانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيْهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

وقال الإمامُ ابنُ رجَبٍ: «المقصودِ: أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ خِصالِ الإيمانِ الواجبةِ أَنْ يُحِبَّ المَرْءُ لِأَخِيهِ المؤمِنِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ، ويَكْرَهَ له ما يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، فإذا زالَ ذلكَ عنه، فَقَدْ نَقَصَ إيمانُهُ بذلكَ، وهذا الحديثُ يَدُلُّ علىٰ أَنَّ المؤمِنَ يَسُرُّهُ ما يَسُرُّ أخاهُ المؤمِنَ، ويريدُ لأخيهِ المؤمِنِ ما يريدُه لنفسِهِ من الخَيْرِ، وهذا كُلُّهُ إنما يأتي من كمالِ سَلامَةِ الصَّدْرِ من الغِلِّ والغِشِّ والحسَدِ؛ فإنَّ الحسَدَ يَقْتَضِي أنْ يَكْرَهَ الحاسِدُ أَنْ يَفُوقَهُ أحَدٌ في خَيْرٍ أو يُسَاوِيَهُ فيه؛ لأَنَّهُ يُحِبَّ أَنْ يَمْتَازَ علىٰ الناسِ بفضَائلِهِ ويَنْفَرِدَ بها عَنْهُمْ، والإيمانُ يَقْتَضِي خِلافَ ذلك، وهو أَنْ يَشْرِكَهُ المؤمنون كُلُّهم فيما أعطاهُ اللهُ من الخيرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ عليه مِنه شيءٌ، وقد مَدَحَ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ منْ لا يريدُ العُلُوَّ في الأرضِ ولا الفَسَادَ، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣]»[٢].

قال الخطابي رحمه الله تعالىٰ:

اِرْضَ للنـــــاسِ جميعًـــــا ... مِثْـــلَ مـــا ترضَـــى لِنَفْـــسِكْ

إنَّمـــــا النـــــاسُ جميعًـــــا ... كُلُّهـــــم أَبْنـــــاءُ جِنْـــــسِكْ

فَلَهُـــــمْ نَفْـــسٌ كَنَفْـــسِكْ ... ولَهُـــمْ حِـــسٌّ كَحِـــسِّكْ[٣]

١٤ - دَفْعُ السَّيِّئةِ بالحَسَنَةِ:

وعاشِـــرْ بمعـــروفٍ وكُـــنْ متـــودِّدًا ... ولا تُلْـــقِ إلَّا بـــالتِي هـــي أَحْـــسَنُ[٤]

---

(١) أحكامُ القرآنِ لابن العربيِّ (٣/ ٤٥٩).

(٢) «جامعُ العلومِ والحِكَمِ» (١/ ٣٠٣ وما بعدَها): باختصارٍ.

(٣) الاستذْكَارُ (٨/ ٥٦٠).

(٤) جواهِرُ الأَدَبِ (٢/ ٥٨٤).

دفعُ السيئةِ بالحسنةِ، من أسبابِ سلامةِ القلوبِ، وقد جَعَلَ اللهُ ﷻ للمسلمِ مَخْرَجًا من أعدائِهِ: شياطين الإنسِ، والجِنِّ، فالعدوُّ الذي يُرىٰ وهو شيطانُ الإنْسِ، فالمَخْرَجُ منه: بالإعراضِ عنه، والعَفْوِ، والدَّفْعِ بالتي هي أَحْسَنُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت:٣٤].

أما العدوُّ الثاني فهوَ شيطانُ الجِنِّ، والمخرجُ منه الاستعاذَةُ باللهِ منه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت:٣٦].

فَمَا هُوَ إِلَّا الاسْتِعَاذَةُ ضَارِعًا ... أوِ الدَّفْعُ بالحُسْنَى هُمَا خَيْرُ مَطْلُوبِ

فَهَذا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ شَرِّ مَا يُرَى ... وذَاكَ دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ شَرِّ مَحْجُوبِ[1]

١٥ - التَّغَافُلُ:

تغافَلْتُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْهُ ورُبَّما ... يَسُرُّكَ فِي بَعْضِ الأُمُورِ التَّغَافُلُ[2]

من أسبابِ سلامةِ القلوبِ التغافُلُ، ويُعْرَفُ التغافُلُ بأنَّه إعراضُكَ عن أَمْرٍ صَدَرَ من عدوٍّ أو صديقٍ وأنْتَ تَتَيَقَّنُ غَرَضَهُ السَّيِّء منه، فَتَتَصنَّعُ الغَفْلَةَ والتَّظَاهُرَ بها.

قِيلَ لأَعْرَابِيٍّ: مَنْ العَقِلُ؟ قالَ: الفَطِنُ المُتَغَافِلُ[3].

فَتَغَافَلْ عَنْ بعضِ ما يَصْدُرُ مِنَ النَّاسِ مَخَافَةَ ما هو أَشَدُّ منه عن المدائنيِّ قال: كان شَبِيبُ بنُ شَيْبَةَ يقولُ: مَنْ سَمِعَ كلمةً يَكْرَهُها فسَكَتَ عنها انْقَطَعَ عنه ما يَكْرَهُ؛ فإنْ أجابَ عنها سَمِعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَكْرَهُ، وكان يتمثَّلُ بهذا البيتِ:

---

(١) زادُ المعَادِ، لابن القَيِّمِ (٢/ ٤٦٢).

(٢) خلاصةُ الأثَرِ (٢/ ٨٣).

(٣) أمالي القالي (٢/ ٢٠٣).

وتَجْـزَعُ نَفْـسُ المَـرْءِ مـن وَقْـعِ شَـتْمَةٍ ويُـشْتَمُ أَلْفًـا بَعْـدَها ثُـمَّ يَـصْبِرُ(١)

وقيلَ: «الكَلِمةُ التِي تُؤذِيكَ طأْطِئ لَهَا رَأْسَكَ فإنَّها تتخطَّاكَ».

ومِمَّا يدلُّ علىٰ التغافُلِ:

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم:٣].

ففي هذه الآية دليلٌ علىٰ التغافُلِ فَتَأَمَّلْ كيفَ تَصَرَّفَ النبيُّ ﷺ مع بعضِ نسائِهِ في هذا البابِ.

ومعنىٰ الآيةِ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾، أيْ: أَخْبَرَتْ به: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي: أطْلَعَهُ اللهُ عليه، ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، أي: لَمْ يُعَاتِبْها في الحديثِ كُلِّهِ، إنما عاتَبَها في بعضِ الحديثِ، وتَغَافَلَ عن الباقي، فَنَسْتَفِيدُ فائدةً أَنَّ المرأَةَ إذا أَخْطَأَتْ في عَشَرةِ أخطاءٍ أنْ لا نُؤاخِذَها بالأخطاءِ العَشَرَةِ، وإنما نؤاخِذُها بواحِدٍ منها مَثَلًا أو ثلاثةٍ، ونتَغَافَلَ عن الباقي، لقولِ اللهِ ﷻ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾.

وجميلٌ أنْ تتغافَلَ عن حاسِدٍ أو حاقِدٍ قد طُوِيَ كِشحُهُ علىٰ داءٍ دفينٍ فَيَظْهَرُ من كلامِهِ ما يَسْتَحِقُّ التغافُلَ عنه؛ لأَنَّ ما تسمَعُهُ منه يُشْبِهُ هواءَ صَفَّارةِ الإنذارِ في قِدْرِ الضَّغْطِ وصَمْتُكَ وتغافُلُكَ يجعلُهُ كَمَنْ يَأْكُلُ نفسَه مع ما في فَتْحِهِ لكَ من العواقِبِ.

قال ابنُ شَرَفٍ:

وذي حَـسَدٍ مـستعملٍ حالـةَ الرِّضـى معـي وأَبَـتْ نيرانُـهُ وسـمومُها

---

(١) عيونُ الأخبَارِ (١/ ٤٠٠).

مَـــدَدْتُ لـــه سِـــتْرُ التغافُـــلِ بيننـــا وأَعْرَضْـتُ عـن أشـياءَ عنـدي علومُهـا[١]

وقال أستَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

أغُـضُّ عَـنِ الأمـرِ القبـيحِ بـصائري كـــأنِّي مهمـــا تطـــاولَ جاهِـــلُ

وأني لأَدْري دِقَّـــةُ قبـــل جُلِّـــه ولكننِـــي عـــن قُبْحِـــهِ أتغافَـــلُ

١٦ - الحِلْمُ:

تَحْلَّـمْ عـن الأدنَـيْنَ واسـتَبْقِ ودَّهُـمْ ولـنْ تـستطيع الحِلْـمَ حتَّـى تَحَلَّمـا[٢]

من أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ الحِلْمُ والحِلْمُ هو كَظْمُ العَيْظِ فلا يطيشُ فيه المرءُ ولا يَمُدُّ لِأَحَدٍ بأذًى، لا بقولٍ ولا بفعلٍ ولا بإشارةٍ مع لزومِ السكينةِ والوقارِ فإن اتَّبَعَ ذلكَ بالعَفْوِ وصَفَحَ حتىٰ لَمْ يجد في صدرِهِ مَوْجِدَةٌ أو حِقْدٌ لِأَحَدٍ فقد سما بنفسِهِ إلىٰ أُفُقٍ بعيد من المكارم.

قال اللهُ ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤].

قال ابنُ كثيرٍ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ أي: لا يُعْمِلونَ غَضَبَهُمْ في الناسِ، بل يَكُفُّونَ عنهم شَرَّهُمْ، ويَحْتَسِبون ذلكَ عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثم قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾، أي: معَ كَفِّ الشَّرِّ يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ

---

(١) الآدابُ النافِعَةُ (٣٢).

(٢) من رحيقِ الشِّعرِ (٨٥).

في أَنْفُسِهم، فلا يبقىٰ في أنفسِهم مَوجِدَةٌ علىٰ أحَدٍ، وهذا أكْمَلُ الأحوالِ، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا من مقاماتِ الإِحْسَانِ»[١].

يقــولن لا تَخْــرِقْ بحلمِــكَ هيبــةً ... وأحــسَنُ شــيءٍ زَيَّــنَ الهَيْبَــةَ الحِلْــمُ

فــلا تَتْــرُكَنَّ العَفْــوَ عــنْ كُــلِّ زلَّــةٍ ... فمـا العَفْـوُ مَـذمُومٌ وإن عَظُـمَ الجُـرْمُ[٢]

وقالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

ومـا الـصبرُ إلَّا راحـةُ القلـب فاصـطَبِرْ ... ومـا الحِلـمُ إلا سُـلَّمُ المجـدِ فـارْتَقِ

ومــا الجــودُ إلا للــسموِّ علامــة ... ومـا الـصَّحْبُ إلا قيمـةُ المـرء فـانْتَقِ

١٧ - المُدَارَاةُ:

تَجَنَّـبْ صـديقَ الـسُّوءِ واصْـرِمْ حبالَـهُ ... وإنْ لـم تَجِـدْ عنـه مَحِيْـصًا فَـدَارِهِ[٣]

من أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ المداراةُ وتُعْرَفُ المُداراةُ بأنَّها: الرِّفق بالجاهِلِ أو العَدُوِّ وعَدَمُ التصريحِ له بأنَّه ثقيلٌ أو غَيْرُ مَرْغُوبٍ فيه أو أنَّ فيه صفاتٍ لا تصلُحُ لِمثلِهِ وذلك بقصْدِ إصلاحِهِ أو السَّلامَةِ من شَرِّهِ.

قال القاري: «المداراةُ قائمةٌ علىٰ الرفقِ لتحقيقِ المُرادِ من صلاحِ مُعْوَجٍّ أو كفايةِ شَرِّ عدوٍّ ونحوِهِ»[٤].

والمداراةُ خُلُقٌ من أخلاقِ النُّبُوَّةِ، فعن عروةَ بنِ الزُّبيرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ قالَتْ:

---

(١) تفسيرُ ابن كثيرٍ (٢/ ١٢٢).

(٢) ديوانُ أبي فِراسٍ (٣١٤).

(٣) انظر: «مرقاةُ المفاتيحِ شرحُ مِشكاةِ المصابيحِ»، للملَّا علي القاري (٧/ ٢٩٤١).

(٤) انظر: «مرقاةُ المفاتيحِ شرحُ مِشكاةِ المصابيحِ»، للملَّا علي القاري (٧/ ٢٩٤١).

استأذَنْ رَجُلٌ علىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**ائذنوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ - أو: ابْنُ العَشِيرَةِ -**». فلمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الكلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولُ اللهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لهُ الكَلَامَ؟ قَالَ: «**أيْ عائِشَةُ، إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ - أوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[(١)].

وعَنِ ابنِ أبي مُلَيكَةَ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ قالَ: قَسَمَ رسُولُ الله ﷺ أَقْبيَةً، وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ شَيئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ: يَا بُنَيَّ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، قالَ: ادْخُلْ فادْعُهُ لِي، قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيهِ وَعَلَيْهِ قَباءٌ منْهَا، فقَالَ: «**خَبَأْتُ هذَا لَكَ**» قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةُ»[(٢)].

قَالَ ابنُ بَطَّالٍ: المُدارَاةُ بينْ أَخْلَاقِ المؤمنينَ وهي: خَفْضُ الجِنَاحِ للنَّاسِ ولين الكَلِمةِ وتَرْكَ الإغلاظِ لَهُمْ في القولِ وذلكَ مِنْ أقوَىٰ أسبَابِ الأُلْفَةِ»[(٣)].

وقال ابن حبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «من التمس رضا جميعَ الناسِ التمسَ ما لا يَدْرُكُ، ولكنَّ العاقل رضا من لا يجد من معاشرتهِ بدًّا، وإن دفعه الوقت إلىٰ استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن مأثمًا، فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارىٰ فلم يسلم فكيف توجد السلامة لمن لا يداري»[(٤)].

وقَالَ الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان للإنسان عَدُوٌّ وقد استحكمت شَحْناؤُهُ، واستوعَرَتْ سَرَّاؤُهُ، واسْتَخْشَنَتْ ضَرَّاؤُهُ، فهو يتربَّصُ بدوائرِ السُّوءِ انتهازَ فُرَصِهِ، ويتجرَّعُ بمهانهِ

---

(١) رواهُ البخاري (٦١٣١). وقال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله تعالىٰ: ولَفْظُهُ عند الحارِثِ بنِ أُسامةَ: «**إنَّه منافِقٌ أداريهِ عن نفاقِهِ، وأخشىٰ أنْ يُفْسِدَ علىٰ غيرِهِ**». (الفتحُ: ١٠/ ٥٢٩).

(٢) رواه البخاري (٣١٢٧).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٢٨).

(٤) روضة العقلاء (٧١ - ٧٢).

العَجزِ مرارةً غُصَصِه، فإذا ظَفِرَ بنائبةٍ ساعدها، وإذا شاهد نَعمة عاندها، فالبُعْدُ مِنْهُ حذِرًا أسْلَمُ، والكفُّ عَنْهُ متاركةً أغنَمُ، فإنَّه لا يسلم من عواقِبِ شرِّه، ولا يُفلِتُ مِنْ غوائلِ مَكرِهِ إلا بالبعد منه أو مداراته»[١].

قال محمود الورَّاق:

دار الصديق إذا استشاطَ تغضُّبًا ... فالغَيْظُ يُخرِجُ كامِنَ الأحْقَادِ

ولرُّبما كان التَّغَضُّبُ باحثًا ... لِمثالِبِ الآباءِ والأجدادِ[٢]

وقَالَ آخر:

ما دُمْتَ حيًّا فدار الناسَ كُلَّهُمُ ... فإنَّما أنْتَ في دارِ المُداراتِ

من يدرِ داري ومَنْ لم يدرِ سوف يُرى ... عمَّا قليلٍ نديمًا للنداماتِ[٣]

١٨ - عَدَمُ مُجاراةِ السُّفَهاءِ:

أرى الكَفَّ عن شَتْمِ السَّفِيهِ تكرُّمًا ... أضَرَّ بِهِ مِن شَتْمِهِ حينَ يَشْتِمُ[٤]

ومن أسباب سلامةِ الصدرِ عدَمُ مجاراةِ السُّفَهاءِ؛ لِأَنَّكَ تُسَخِّنُ صَدْرَهُ عليك وتُسَخِّنُ صدْرَكَ علىٰ مَنْ لا يستَحِقُّ، فإذا سَبَّكَ نَذْلٌ أو أغضبَكَ، فلا يعيبُ الناسُ عليه، إنَّما العيبُ عليكَ إذا جارَيْتَه، والكريمُ مَنْ صانَ نفسَهُ عن اللئامِ كما قيل:

وَلقدْ مررْتُ على اللئيمِ يَسُبُّني ... فَمَضيْتُ ثَمَّتَ قُلْتُ لا يعنيني[٥]

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٢٣ - ٢٢٤) بتصرف.

(٢) محاضرات الأدباء (١/ ٢٧٩).

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٢٣).

(٤) محاضرةُ الأُدباء (١/ ٢٧٩).

(٥) الأصمعياتُ (١٢٦).

وقال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا سبَّنِي نذلٌ تَزَايَدتُ رِفْعةً ... وما العيبُ إلا أن أكونَ مسابُه

ولَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً ... لَمَكَّنْتُها من كُلِّ نَذْلٍ تحاربُهُ[1]

وهل يُجارِي الكلبَ في نُباحِهِ إلا مِثْلُهُ؟

شاتَمَنِي عَبْدُ بني مَسْمَعٍ ... فصُنْتُ عنه النَّفْسَ والعِرْضَا

ولَمْ أُجِبْهُ لاحْتقاري له ... مَنْ ذا يَعُضُّ الكَلْبَ إنْ عَضَّا[2]

وقال الكُمَيْتُ:

هنيئًا لكَلْبٍ أنَّ كَلْبًا يسبُّني ... وأنِّي لم أرْدُدْ جَوابًا على كَلْبِ

وقالوا إذا سَكَتَّ عن الجاهِلِ فقد أوسَعْتَهُ جوابًا وأوْجَعْتَهُ عذابًا.

ويُقالُ ثلاثةٌ لا ينتصِفُونَ من ثلاثة: حليمٌ من أحمق وبَرٌّ من فاجرٍ وشريفٌ من دنيءٍ[3].

ومن صِفَةِ المؤمنين الذي وصفَهُم اللهُ بها: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣].

وهذا السلامُ ليس سلامَ تحيةٍ وإنَّما هو سلامُ مُتَارَكَةٍ أي يقولون: سدادًا من القولِ يَسْلَمون فيه من الإثمِ: ويَسْلمون من مقابلةِ الجاهِلِ بجهْلِهِ، بل يَتَحَمَّلونَ ما يَرِدُ عليهم من الأذَىٰ فهذا مَدْحٌ من اللهِ لهم بالحِلْمِ الكثيرِ، ومقابَلَةِ المسيء بالإحسانِ والعفوِ عن الجاهلِ، وهذه الخصلةُ تدلُّ علىٰ رَزَانَةِ عَقْلِ المُتَّصِفِ بها.

---

(١) الديوانُ المنسوبُ للشَّافعيِّ (١٠).

(٢) محاضراتُ الأُدباءِ (١/ ٢٨٠).

(٣) غَرَرُ الخصائِصِ (١٣٧).

لا تُــرْجِعنَّ إلــى الــسَّفِيهِ خِطابــهُ إلا جـــوابَ تحيـــةٍ حيَّاكَهَـــا
فمتـــى تُحَرِّكُـــهُ تُحَـــرِّكُ جيْفـــةً تــزدادُ نَتْنًــا مــا أَرَدْتَ حِراكَهــا[1]

وكان ﷺ لا تزيدُهُ شِدَّةُ الجاهِلِ إلا حِلْمًا، من ذلك ما في «الصحيحين»: عن جابر قال: أتىٰ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بالجعرَانَةِ، مُنْصَرفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وفِي ثَوْبِ بلالٍ فضَّةٌ؛ ورَسُولُ الله ﷺ يَقْبضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ؛ فقال: يا مُحمَّدُ، اعْدلُ، قالَ: «**وَيْلَكَ، ومَنْ يَعْدِلُ إذا لمْ أكُنْ أعْدِلُ؟! لَقَدْ خِبْتُ وخسِرْتُ إنْ لَمْ أكُنْ أعْدِلُ**». فقال عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يا رسول الله، فأقتُلُ هذَا المنافِقَ، فقَالَ: «**مَعَاذَ اللهِ، أن يتحَدَّثَ الناسُ أَنِّي أقتُلُ أصْحَابي، إنَّ هذا وأصْحابَهُ يقرءُونَ القُرآن؛ لا يُجَاوزُ حنَاجِرَهُمْ، يَمْرقُون مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**».

وفي روايةٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَقْبضُ للنَّاسِ، في ثوبِ بلالٍ، يومَ حُنَيْن يُعطيهمْ، فَقَالَ إنسانٌ مِنَ النَّاسِ: اعْدِلْ يا مُحَمَّدُ، فقال ﷺ: «**ويْلَكَ، إذا لمْ أعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ؟! لَقَدْ خِبْت وخَسِرتَ إنْ لمْ أعدِلْ**» قال: فقال عمرُ رضوانُ اللهِ عَلَيهِ: دَعْنِي يا رَسُولَ اللهِ، أضْرِبْ عُنُقَهُ، فقال ﷺ: «**مَعَاذ اللهِ، أنْ يَتَحَدَّثَ الناسُ أَنِّي أقتُلُ أَصْحَابي، إنَّ هذَا وأصْحَابًا لَهُ، يَقْرءون القُرْآن، لا يُجاوزُ حناجِرَهُمْ**»[2].

وعَنْ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لَمَا كَانَ يَوْمُ حُنَين آثر النَّبيُّ ﷺ أُنَاسًا في القِسْمَةِ فأعْطَىٰ الأَقْرَعَ بنَ حابسٍ مائَةً من الإبل وأعْطَىٰ عُيَيْنَة مِثْل ذَلِكَ وأعْطَىٰ أُنَاسًا مِنْ أشرَافِ العَرْبِ فآثرَهُمْ يَوْمئذٍ في القِسْمَةِ، قالَ رَجُلٌ: «**واللهِ إنَّ هذهِ القِسْمَة مَا عُدِلَ فِيهَا ومَا**

(١) المرجَعُ السابِقُ (١٣٧).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣).

أُريدَ بهَا وجْهُ اللهِ» فَقُلْتُ: واللهِ لأُخْبِرَنَّ النَّبيَّ ﷺ فأتيتُهُ فَأَخْبَرتُهُ، فَقَالَ: «**فمَنْ يعدِلُ إذا لمْ يعْدِل اللهُ ورسُولهُ، رَحِمَ اللهُ موسَىٰ قد أوذي بأكثر من هذا فصبرَ**»(١).

وعَنْ أنسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أن يهوديةً أَتتِ النَّبيَّ ﷺ، بشاةٍ مَسْمُومَةٍ فأكَلَ منها، فجيء بها، فقيل: ألا تقتُلها؟ قال: «**لا**». قال: فمَا زلتُ أعْرِفُهَا في لهواتِ رسول الله ﷺ(٢).

وعلىٰ هذا مضَىٰ السَّلَفُ الأبرارُ: فعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قالَ: قَدِمَ عُيَينَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيفةَ، فنزلَ علىٰ ابن أخيهِ الحُرِّ بنِ قَيْسٍ، وكانَ مِنَ النَّفَرِ الذين يُدْنيهم عُمَرُ، وكان القُرَّاءُ أصْحَابَ مجالس عُمَرَ ومشاورته، كهولاء كانوا، أو شُبَّانًا، فقال عُيينة لابن أخيه: يا ابنَ أخي، هل لك وجْهٌ عِنْدَ هذا الأمير، فاستأذن لي عَلَيْهِ، قالَ: سَأستأذنُ لك عليه. قالَ ابنُ عَبَّاس: فاستَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيينةَ، فأذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ علَيهِ قالَ: هِي يا ابنَ الخَطَّابِ، فواللهِ، ما تُعْطِينا الجزْلَ، ولَا تَحْكُمُ بيْنَنَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عمرُ، حتَّىٰ هَمَّ أن يُوقِعَ بِهِ، فقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ اللهَ تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا مِنْ الجَاهلِينَ، واللهِ ما جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»(٣).

وقال رجلٌ للأَحْنَفِ: إنْ قُلْتَ واحدةً لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا. فقال: أنتَ إنْ قُلْتَ عشرًا لمْ تَسْمَعْ واحدةً. وألحَ رجلٌ علىٰ الأَحْنَفِ بالشَّتْمِ فلما فَرَغَ قال: هَلْ لَكَ في الغذاءِ فإنَّكَ مذ اليومِ تحدُو بأحمالٍ ثقالٍ(٤).

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣١٥٠).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٦١٧)، ومسلمٌ (٢١٩٠).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٤٦٤٢).

(٤) محاضرات الأدباء (١/ ٢٨٠).

وشَتَمَ سفيهٌ حكيمًا وهو ساكتٌ فقال: إيَّاكَ أعْنِي. فقال: وعَنْكَ أُغْضِي[١].

وقال بعضُهم:

وبَعْـضُ انتقـامِ المـرءِ يُـرْدِيْ بِعَقْلِـهِ وإِنْ لَـمْ يَقَـعْ إلَّا بأَهْـلِ الجـرائِمِ[٢]

وقيلَ لِبَعْضِهم وقد كان من صاحبٍ له ذنبٌ إليهِ: هلَّا جازيت؟ فقال: الصَّقْرُ يَحْقِرُ عن طِرادِ الدُّخَّلِ[٣].

وقال المُهَلَّبُ: إذا سَمِعَ أحَدُكم العوراءَ فَلْيُطَأْطِئْ لَها تَتَخَطَّاهُ[٤].

وأسْمَعَ رجُلٌ آخَرَ وهو ساكتٌ فقال: إنِّي وإياك كما قال زهيرٌ:

وذي خَطَـلٍ في القـولِ يَحْـسَبُ أَنَّـهُ مـصيبٌ فمـا يُلْمِـمْ بـه فهـو قائلُـه[٥]

١٩ - نِسْيَان الأَذيَّةِ:

جعلـتَ لنـا النـسيان يـا ربِّ رحْمَـةً فلـولاَ يَـدُ النِّـسيانِ حَطَّمنـا اليـأْسُ[٦]

ومن أسبابِ سلامةِ الصدرِ نسيانُ الأذيَّةِ فلا تَذكُّرها أو تَتَحَدث عنها وقد كان السَّلَفُ يفعلون ذلك بل إنَّهم كانوا لَيَتَحَاشَونَ النَّظَرَ إلىٰ وَجْهِ قاتِلِ كُلِّ عزيزٍ عليم من أبٍ أو ابنٍ أو أخٍ أو عَمٍّ وخاصةً بعد العَفْو؛ لأن الشَّيءَ بالشيءِ يُذْكَرُ ومِمَّا يَدُلُّ علىٰ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ديوانُ سَحْنونَ (٢/ ١٢٦).

ذلكَ من السُّنَّةِ: حديثُ جَعْفَرِ بنِ عمرٍو بن أُميَّةَ الضَّمْريُّ قالَ: خرَجْتُ معَ عُبَيْدِ اللهِ بن عَدِيِّ بنِ الخيار، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمصَ، قالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِي، نسْألُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ؟ قُلتُ: نَعَمْ: وكَانَ وَحْشيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، ثم قال وحشيٌّ: «قَالَ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ - يعني مِنْ أُحُدٍ - رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بمَكَّةَ حَتَّىٰ فَشَا فِيهَا الإسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَىٰ الطَّائف، فَأَرسَلُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُل، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّىٰ قَدِمْتُ علَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رآنِي قَالَ: «**آنْتَ وَحْشِي**» قالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي!**». قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَرجَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ، قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّىٰ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ عَلَىٰ هَامَتِهِ».

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا نِسْيَانُ الأَذِيَّةِ فَهُوَا بأَنْ تَنْسَىٰ أَذِيَّةَ مَنْ نَالَكَ بأذًىٰ؛ لِيَصْفُوَ قَلْبُكَ لَهُ ولَا تَسْتَوحِشَ مِنْهُ»[1].

بُورِكْتَ يا أَيُّها النِّسيانُ من آسِ ... لقد قَضَيْتَ على هَمِّيْ وَوِسَواسِيْ

لولا معالجةُ النسيانِ حَطَّمَنا ... ما لا يُفارِقُنا في الدَّهْرِ من باس

لولا اللجوءُ إلى النسيانِ أَسْلَمَنا ... طولُ المُعَاناةِ والإرهاقِ للياسِ[2]

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٠٧٢) مُطَولًا.

(٢) ديوانُ سَحْنُونَ (٢/ ٣٤).

وقال أُستاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

وما كانَ عن عَجْزٍ نكوصي لِرَوْعِهِ ... ولكنَّ نسيانَ الأذيَّةِ شيمتي

٢٠ - الزيارةُ:

أَرَى الرِّجْلَ قد تَسْعَى إلى مَنْ تُحبُّهُ ... وما الرِّجْلُ إلا حَيْثُ يَسْعَى بها القَلْبُ[١]

من أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ زيارةُ الأخِ بين الحِيْنِ والآخَرِ؛ لِتَسْتَلَّ ما قَدْ يَحْصُلُ في قَلبِهِ من تَرَسُّباتِ الزمانِ كَزَلَّةِ اللِّسَانِ والغَفلةِ عن أيِّ تقصيرٍ كانَ.

أخوكَ الَّذِي أَمْسَى بحبكَ مغرمًا ... يَتُوب إِلَيْك الْيَوْم مِمَّا تقدَّما

فَإِن لم تصله رَغْبَة فِي إخائه ... وَلم تَكُ مشتاقًا فَصله تكرمًا[٢]

وتتأكَّدُ الزيارةُ إذا كان مريضًا أو كاشِحًا وإِنْ أَخَذْتَ مَعَكَ هديَّةً فَحَسَنٌ وإنْ لم تَقْدِرْ، فزيارتُكَ أَعْظَمُ هَدِيَّةٍ، ومَنْ تَرَكَ الزيارةَ لِعَدَمِ الهَدِيَّةِ فقدْ أساءَ الظَّنَّ بإِخْوانِهِ؛ بأَنَّهُم لا يَنْظُرون لِغَيْرِ ما يَحْمِلُون مَعَهُم، فلا تَتْرُكْ الزيارةَ لذلكَ بَلْ زُرْهُمْ ولو بالسَّلامِ فَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ ولوْ بالسَّلامِ**»[٣].

وقولُهُ: «**ولو بالسَّلامِ**» أي: ولو كانَ هذا البِرُّ بالسَّلامِ؛ أي: صِلُوهُمْ ولو كانَ بالزِّيارةِ والسَّلامِ، وهذا في حقِّ الصِّلَةِ الواجِبِ صِلَتُها وهم الأَرْحَامُ فشَمِّر الذَّيْلَ، وبادِرْ السَّيْلَ!

زُرْتُمْ فَحَيَّيْتُمْ كما يَنْبَغِي ... لصاحبٍ زَارَ وخِلٍّ يزور

---

(١) أَحْسَنُ ما سَمِعْتُ (٢٤).

(٢) أمالي الزَّجاجيِّ (٢٢).

(٣) (حسَنٌ) أخرَجَهُ الطبرانيُّ كما في مَجْمَعِ الزوائِدِ (٨/ ١٥٢)، وأخرجَهُ البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٦/ ٢٢٧، رقم ٧٩٧٣)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في صحيح الجامِعِ (٢٨٣٨).

مجلـــسُكم هـــذا وإيناسُـــكم مِـنْكُمْ عليـهِ في المـسَرَّاتِ نُـور[١]

٢١ - امْتِثَالُ الأَدَبِ في الرُّجوعِ من البابِ:

أَدَبٌ كَمِثْـلِ المـاءِ لـوْ أَفْرَغْتَـهُ يَوْمًـا لـسَالَ كمـا يَـسيلُ المـاءُ[٢]

ومن أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ امْتِثَالُ الأَدَبِ ومن الأَدَبِ إذا زُرْتَ أخًا لَكَ فَطَلَبَ منك الرجوعَ من بابِ البيتِ فارجِعْ وأنتَ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ؛ لأنَّ اللهَ أَخْبَرَنا أنَّ الرجوعَ أَطْهَرُ للقلوبِ، وكُلُّ تأدياتِ اللهِ جل جلاله ورسولِهِ ﷺ فيها الخَيْرُ والبَرَكَةُ فامْتِثالُها سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨﴾ [النور:٢٨].

قالَ الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا أيْ: قَالَ لَكُمْ أَهْلَ البَيْتِ ارْجِعُوا فارْجِعُوا، ولَا تُعَاوِدُوهُمْ بالاستِئْذانِ مَرَّةً أُخرىٰ، ولَا تَنْتَظِرُوا بَعْدَ ذَلِكَ أنْ يَأْذَنُوا لَكُمْ بَعْدَ أَمْرِهِمْ لَكُمْ بالرُّجُوعِ، ثُمَّ بَيّنَ سُبْحَانَهُ أنَّ الرُّجُوعَ أَفْضلُ مِنْ الإِلْحَاحِ، وتَكْرَارِ الاستئذانِ، والقُعُودِ علَىٰ البَابِ فَقَالَ: هَوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ أيْ: أَفْضَلُ «وأطْهَرُ» مِنْ التَّدَنُّسِ بالمُشَاحَةِ علَىٰ الدُّخُولِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، والبُعْدِ مِنَ الرِّيبَةِ، والفِرَارِ مِنَ الدَّنَاءَةِ»[٣].

وبعضُ الناسِ اليومَ لا يَرُدُّونَ علىٰ الطارِقِ، بَلْ هُوَ مَنْ يَطْرُقُ ثلاثًا فإن ثَمَّ الجوابُ وإلَّا كانَ سكوتُهم يقومُ مقامَ أمْرِهِمْ بالرجوعِ، فلا يُعاوِد الطروقَ فوقَ ثلاثٍ فإنَّ ذلكَ خِفَّةٌ وسوءُ أدبٍ.

---

(١) ديوانُ الأَخْرَسِ (١٢٥١).

(٢) ديوانُ ابنِ عَبْد رَبِّهِ (٢).

(٣) فتحُ القدير (٤/ ٢٤).

إِنْ يُكْـدِ مُطَّـرْفُ الإخـاءِ فإنَّنَـا نَغْـدُو ونَـسْري في إخَـاءِ تالِـدِ
أو يَخْتَلِـفْ مَـاءُ الوِصَـال فمَاؤُنـا عَـذْبٌ تَحَـدَّرَ مِـن غَمَـامٍ وَاحِـدِ
أو يَفْتَـرِقْ نَـسَبٌ يُؤَلِّـفْ بيننـا أدَبٌ أَقَمْنَـاهُ مَقَـامَ الوَالِـدِ[1]

٢٢ - الصَّبْرُ:

خَلِيلَـيَّ إنَّ الـدَّهْرَ مـا تَرَيانِـهِ قَـصِيرًا وَإلَّا أَيُّ شَـيْءٍ سِـوَى الـصَّبْرِ

ومن أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ الصَّبْرُ ولم أَجِدْ أعْظَمَ مَنْ تَكَلَّمَ في الصَّبْرِ - ولاسيَّما في هذا المقامِ - خَيْرًا من شَيْخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وها أنا أَنْقُلُهُ لَكَ بتمامِهِ لنفاستِهِ قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدَ أنْ ذَكَرَ أنَّ الصبرَ ثلاثةُ أَقْسامٍ: النوعُ الثاني: «أَنْ يَحْصُلَ له بِفِعْلِ النَّاسِ في مالِهِ أو عِرْضِهِ أو نَفْسِهِ فهذا النوعُ يَصْعُبُ الصبرُ عليه جِدًّا؛ لأَنَّ النَّفْسَ تَسْتَشْعِرُ المؤذِي لها، وهي تَكْرَهُ الغَلَبَةَ، فَتَطْلُبُ الانتقامَ، فلا يَصْبِرُ علىٰ هذا النوعِ إلا الأَنبياءُ والصِّدِّيقون، وكان نبيُّنا ﷺ إذا أُوذِيَ يقولُ: يرحَمُ اللهُ موسَىٰ لقد أوذِيَ بأَكثَرَ مِنْ هذا فصَبَرَ[2] وأخبرَ عن نبيٍّ من الأنبياءِ أَنَّهُ ضَرَبَهُ قومُه فجَعَلَ يقولُ: «**اللهمَّ اغْفِرْ لقومي فإنَّهُم لا يعلمون**»[3]، وقد رُوِيَ عنه ﷺ أَنَّهُ جَرَىٰ له هذا مع قومِهِ فجَعَلَ يقولُ مِثْلَ ذلكَ»[4]، فَجَمَعَ في هذا ثلاثةَ أمورٍ:

---

(١) أخبارُ أبِي تَمَّامٍ (١).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٤٠٥)، ومسلمٌ (٣/ ١٠٩).

(٣) رواه البخاريُّ (٣٤٧٧)، ومسلمٌ (٥/ ١٧٩).

(٤) هذا الحديثُ رواهُ عبدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لمَّا قسَمَ رسولُ الله ﷺ غنائِمَ حُنينٍ بالجَعْرانةِ، ازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَضَرَبُوهُ وَشَجُّوهُ**»، قَالَ: فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبْهَتِهِ، وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»، قَالَ عَبْدُ اللهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبْهَتِهِ، يَحْكِي الرَّجُلَ، وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**». أخرجَهُ الإمامُ أحمدُ في المُسْنَدِ (٧/ ٣٧٦) برقم (٤٣٦٦)، وقال مُحَقِّقُهُ: صحيحٌ لغيرِهِ.

العَفْوَ عنهم، والاستغفارَ لهم، والاعْتِذارَ عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوعُ من الصَّبْرِ عاقِبَتُهُ النَّصْرُ والعِزُّ والسرورُ والأَمْنُ والقُوَّةُ في ذاتِ اللهِ، وزيادةُ محبةِ اللهِ ومَحَبَّةِ الناسِ له وزيادةُ العِلْمِ، ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

فبالصَّبْرِ واليقينِ تُنَالُ الإمامةُ في الدينِ، فإذا انْضَافَ إلىٰ هذا الصَّبْرِ قُوَّةُ اليقين والإيمان تَرَقَّىٰ العَبْدُ في درجاتِ السعادةِ بفَضْلِ اللهِ، وذلك فَضْلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفَضْلِ العظيمِ.

ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا﴾، يعني: الأعمالَ الصَّالِحَةَ مثلَ العَفْوِ والصَّفْحِ ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، نصيبٍ وافرٍ وهي الجَنَّةُ.

ويعين العَبْدَ علىٰ هذا الصَّبْرِ عِدَّةُ أشياءَ:

١ - أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ اللهَ ﷻ خالِقُ أفعالِ العبادِ حركاتِهِمْ وسَكَنَاتِهم وإراداتِهم، فما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، فلا يَتَحَرَّكُ في العالمِ العُلْوِيِّ والسُّفْلِيِّ ذَرَّةٌ إلا بإِذْنِهِ، ومَشِيئَتِهِ والعبادُ آلةٌ، فانظرْ إلىٰ الذي سَلَّطَهُمْ عليك، ولا تَنْظُرْ إلىٰ فِعْلِهم بِكَ، تَسْتَرِحْ من الهَمِّ والغَمِّ والحَزَنِ.

٢ - أَنْ يَشْهَدَ ذُنُوبَهُ، وأَنْ اللهَ إنما سلَّطَهُمْ عليه بِذَنْبِهِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشُّورىٰ: ٣٠] فإذا شَهِدَ العَبْدُ أَنَّ جميعَ ما ينالُهُ من المكروه فَسَبَبُهُ ذنوبُهُ، اشْتَغَلَ بالتوبةِ، والاستغفارِ من الذنوبِ التي سَلَّطَهُم عليه، بسببها عن ذمهم ولومِهم والوقيعةِ فيهم، وإذا رأيتَ العبدَ يَقَعُ في الناسِ إذا آذَوْهُ ولا يرجِعُ إلىٰ نفسِهِ باللَّومِ والاستغفارِ فاعْلَمْ أَنَّ مصيبتَهُ مصيبةٌ حقيقيَّةٌ.

٣ - أَنْ يَشْهَدَ العبدُ حُسْنَ الثوابِ الذي وعَدَهُ اللهُ لِمَنْ عَفَىٰ وصَبَر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشُّورىٰ: ٤٠]. ولمَّا كانَ الناسُ عندَ مقابلةِ الأذىٰ ثَلاثةَ أقسامٍ: ظالمٌ يأْخُذُ فوقَ حَقِّهِ، ومُقْتَصِدٌ يأْخُذُ بِقَدْرِ حَقِّهِ، ومُحْسِنٌ يَعْفُو ويَتْرُكُ حَقَّهُ. ذَكَرَ الأقسامَ الثلاثةَ في هذهِ الآيةِ فَأَوَّلُها للمقْتَصِدِين، ووَسَطُها للسَّابقين، وآخِرُها للظَّالمين.

٤ - أَنْ يَشْهَدَ أَنَّهُ إذا عَفَىٰ وأَحْسَنَ أَوْرَثَهُ ذلك من سلامةِ القَلْبِ لإخوانِهِ، ونقائِهِ من الغِشِّ، والغِلِّ، وطَلَبِ الانتقامِ، وإرادةِ الشَّرِّ، وحَصَلَ له من حلاوةِ العَفْوِ ما يزيدُ لَذَّتَهُ ومَنْفَعَتَهُ عاجلًا وآجلًا علىٰ المنفعةِ الحاصِلَةِ له بالانتقامِ.

٥ - أَنْ يعلمَ أنه ما انتقمَ أَحَدٌ قَطُّ لنفسِهِ إلا أَوْرَثَهُ ذلك ذُلًّا يَجِدُهُ في نفسِهِ، فإذا عفىٰ أَعَزَّهُ اللهُ. وهذا مِمَّا أخبَر به الصادِقُ المصدوقُ حيثُ يقولُ: «**ما زادَ اللهُ عبدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا**»(١) فالعِزُّ الحاصِلُ له بالعَفْوِ أَحَبُّ إليهِ وأَنْفَعُ له من العِزِّ الحاصِلِ له بالانْتقامِ، فإنَّ هذا عِزٌّ في الظاهِرِ وهو يورثُ في الباطِنِ ذُلًّا، والعَفْوُ ذُلٌّ في الباطِنِ وهو يورِثُ العِزَّ باطِنًا وظاهِرًا.

٦ - أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الجزاءَ من جِنْسِ العَمَلِ، وأَنَّهُ نَفْسَهُ ظالمٌ مذنبٌ، وأنَّ مَنْ عَفَىٰ عن الناسِ عَفَىٰ اللهُ عنه، ومَنْ غَفَرَ غَفَرَ اللهُ له، فإذا شَهِدَ أَنَّ عَفْوَهُ عنهم وصَفْحَهُ وإحسانَهُ مع إساءَتِهِم إليه، سَبَبٌ لِأَنْ يَجْزِيَهُ اللهُ كذلك من جِنْسِ عَمَلِهِ فَيَعْفُو عنه ويَصْفَحُ ويُحْسِنُ إليه علىٰ ذنوبِهِ، ويُسَهِّلُ عليه عَفْوَهُ وصَبْرَهُ ويكفي العاقِلَ هذه الفائدةُ.

٧ - أَنْ يعلمَ أَنَّهُ إذا اشتغلتْ نفسُهُ بالانتقامِ وطَلَبِ المقابلةِ ضاعَ عليه زمانُهُ، وتَفَرَّقَ

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٥٨٨).

عليه قَلْبُهُ، وفاتَهُ من مصالِحِهِ، ما لا يُمْكِنُ اسْتدراكُهُ، ولعلَّ هذا يكونُ أعظمَ عليه من المصيبةِ التي نَالَتْهُ من جِهَتِهِمْ، فإذا عَفَىٰ وصَفَحَ فَرَغَ قلبُهُ وجِسْمُهُ لمصالِحِهِ التي هي أَهَمُّ عندَه من الانتقامِ.

٨ - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ انتقامَهُ واستيفاءَهُ وانتصارَهُ لنفسِهِ وانْتقامَهُ لها، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ما انْتَقَمَ لنفسِهِ قَطُّ[1] فإذا كان هذا خَيْرُ خَلْقِ اللهِ وأكرمُهُم علىٰ اللهِ لم يَكُنْ ينتقِمُ لنفسِهِ مع أَنَّ أذاهُ أذًىٰ للهِ وَيَتَعَلَّقُ به حقوقُ الدِّينِ، ونفسُهُ أَشْرَفُ الأَنْفُسِ، وأَزكاها، وأبرُّها وأبعدُها من كُلِّ خُلُقٍ مذمومٍ، وأَحَقُّها بِكُلِّ خُلقٍ جميلٍ، ومع هذا فلم يَكُنْ ينتقمُ لها. فكيفَ ينتقمُ أَحَدُنا لنفسِهِ التي هو أعلمُ بها وبما فيها من العيوبِ والشُّرورِ بل الرجُلُ العارفُ لا تساوي نفسُهُ عندهُ أَنْ ينتقمَ لها، ولا قَدْرَ لها عنده يُوجِبُ عليه انتصارَهُ لها.

٩ - إِنْ أُوذِيَ علىٰ ما فَعَلَهُ للهِ أو علىٰ ما أَمَرَهُ بِهِ من طاعتِهِ ونَهَىٰ عنه من معصيتِهِ وَجَبَ عليهِ الصَّبْرُ ولم يَكُنْ له الانتقامُ، فإنَّهُ قد أُوذِيَ في اللهِ، فأَجْرُهُ علىٰ اللهِ، ولهذا لما كان المجاهدونَ في سبيلِ اللهِ ذَهَبَتْ دِماؤُهم وأموالُهُم في اللهِ لم تَكُنْ مضمونةً، فإن اللهَ - تعالىٰ - اشترىٰ منهم أَنْفُسَهُم وأموالَهم، فالثَّمَنُ علىٰ اللهِ لا علىٰ الخَلْقِ، فَمَنْ طَلَبَ الثمنَ منهم لم يَكُنْ له علىٰ اللهِ ثَمَنٌ، فإنَّه مَنْ كانَ في اللهِ تَلَفُهُ كان علىٰ اللهِ خَلَفُهُ.

١٠ - أَنْ يَشْهَدَ معيَّةَ اللهِ مَعَهُ إذا صَبَرَ، ومَحَبَّةَ اللهِ له ورِضاهُ، ومَنْ كان اللهُ مَعَهُ دَفَعَ عنه من أنواعِ الأَذَىٰ والمَضَرَّاتِ ما لا يَدْفَعُ عنه أَحَدٌ من خَلْقِهِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦] وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

١١ - أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الصَّبْرَ نِصْفُ الإيمانِ، فلا يُبَدِّلُ من إيمانِهِ جُزْءًا في نُصْرَةِ نَفْسِهِ، فإنْ صَبَرَ فقد أَحْرَزَ إيمانَهُ وصانَهُ من النَّقْصِ واللهُ - تعالىٰ - يُدَافِعُ عن الذين آمنوا.

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٢٥٦٠)، مسلمٌ (٢٣٢٧ - ٢٣٢٨).

١٢ – أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ صَبْرَهُ حُكْمٌ منه علىٰ نفسِهِ، وقَهْرٌ لها، وغَلَبَةٌ لها، فمتىٰ كانت النفسُ مقهورةً معه مغلوبةً، لم تَطْمَعْ في اسْترقاقِهِ، وأَسْرِهِ، وإلقائِهِ في المهَالِكِ، ومتىٰ كان مُطِيعًا لها سامِعًا منها مَقْهُورًا مَعَها لم تَزَلْ [بِهِ] حتىٰ تُهْلِكَهُ، أو [تَتَدَارَكَهُ] رحمةٌ من رَبِّهِ.

١٣ – أَنْ يَعْلَمَ أنه إِنْ صَبَرَ فاللهُ ناصِرُهُ ولا بُدَّ، فإنَّ اللهَ وكيلُ مَنْ صَبَرَ وأَحالَ ظالِمَهُ عليهِ، ومَنْ انْتَصَرَ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَكَلَهُ اللهُ إلىٰ نَفْسِهِ، فكان هو الناصِرَ لها، فأَيْنَ مَنْ ناصِرُهُ اللهُ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، إلىٰ مَنْ ناصِرُهُ نفسُهُ أَعْجَزُ الناصرين وأَضْعَفُهُمْ.

١٤ – أَنَّ صَبْرَهُ علىٰ مَنْ آذاهُ واحْتمالَهُ له يُوجِبُ رجوعَ خَصْمِهِ عن ظُلْمِهِ وندامَتَهُ واعتذارَهُ، ولومَ الناسِ له فيعودُ بعدَ إِيذائه له مُسْتَحْيِيًا منه، نادمًا علىٰ ما فَعَلَهُ، بل يصيرُ مُواليًا له وهذا معنىٰ قولِهِ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤ – ٣٥].

١٥ – رُبَّما كان انتقامُهُ ومقابَلَتُهُ سببًا لزيادةِ شَرِّ خَصْمِهِ وقُوَّةِ نفسِهِ وفكرتِهِ في أنواعِ الأَذَىٰ التي يوصِلُها إليه كما هو المُشَاهَدُ، فإذا صَبَرَ وعَفَىٰ أَمِنَ من هذا الضَّرَرِ.

١٦ – أَنَّ مَنْ اعتادَ الانتقامَ ولم يَصْبِرْ، لا بُدَّ أَنْ يَقَعَ في الظُّلْمِ، فإنَّ النفسَ لا تَقْتَصِرُ علىٰ قَدْرِ العَدْلِ الواجِبِ لها، لا عِلْمًا، ولا إِرادةً، وربما عَجَزَتْ عن الاقتصارِ علىٰ قَدْرِ الحَقِّ، فإنَّ الغَضَبَ يَخْرُجُ بصاحِبِهِ إلىٰ حَدٍّ لا يَعْقِلُ ما يقولُ وما يَفْعَلُ، فبين ما هو مظلومٌ ينتظرُ النَّصْرَ والعِزَّ، إِذْ انقلبَ ظالمًا ينتظرُ المَقْتَ والعُقُوبَةَ.

١٧ – أَنَّ هذه المَظْلَمَةَ التي قد ظُلِمَها هي سببٌ، إما لتكفيرِ سيئةٍ، أو رَفْعِ درجةٍ، فإذا انتقمَ ولم يَصْبِرْ لم تَكُنْ مُكَفِّرةً لسيِّئَتِهِ ولا رافعةً لدرجتِهِ.

١٨ - أَنَّ عَفْوَهُ وصَبْرَهُ من أكبرِ الجُنْدِ له علىٰ خَصْمِهِ، فإنَّ مَنْ صَبَرَ وعَفَا كان صبرُهُ وعفوُهُ موجِبًا لِذُلِّ عَدُوِّهِ، [وخوفِهِ] وخَشْيَتِهِ منه، ومن الناسِ، فإنَّ الناسَ لا يَسْكُتُونَ عن خَصْمِهِ وإنْ سَكَتَ هو، فإذا انتقمَ زالَ ذلك كُلُّهُ.

١٩ - أَنَّهُ إذا عَفَىٰ عن خَصْمِهِ، اسْتَشْعَرَتْ نَفْسُ خَصْمِهِ أَنَّهُ فَوْقَهُ، وأنه قد رَبِحَ عليه، فلا يزالُ يَرَىٰ نَفْسَهُ دُونَهُ وكَفَىٰ بهذا فضلًا وشرفًا للعَفْوِ.

٢٠ - أنه إذا عَفَا وصَفَحَ كانَتْ هذه حَسَنَةً، فَتُوَلِّد له حسنةً أُخْرىٰ، وتلك الأُخرىٰ تُوَلِّدُ أخرىٰ، وهلم جَرًّا، فلا تزالُ حسناتُهُ في مَزيدٍ، فإنَّ مِن ثَوابِ الحَسَنَةِ الحَسَنَةَ، كما أَنَّ من عقابِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بعدَها، وربَّما كان هذا سببًا لنجاتِهِ وسعادتِهِ الأَبَدِيَّةِ، فإذا انتقمَ وانْتَصَرَ زالَ ذلك.

والأَصْلُ الثاني الشُّكْرُ وهو العَمَلُ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ[١].

٢٣ - الرِّضَا:

أراحَ نَفْسِيَ إيماني بخالِقِهَا ... ثُمَّ الرِّضَا بقضاءِ اللهِ والقَدَرِ[٢]

من أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ الرِّضَا والرِّضَا هو: انشراحُ الصَّدْرِ وسَعَتُهُ بالقَضَاءِ[٣].

والذي يرضَىٰ ويسلمُ بكلِّ ما يصيبُهُ يفوزُ برضا اللهِ.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[٤].

---

(١) قاعدةٌ في الصَّبْرِ (٩٠ - ١٠٣) باختصارٍ.

(٢) التوجيهُ والإرشادُ النفسيُّ (٣٥١).

(٣) جامعُ العلومِ والحِكَمِ (٢٠٩).

(٤) الترمذيُّ (٢٣٩٦) بابُ ما جاءَ في الصَّبْرِ علىٰ البَلاءِ، تعليقُ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. حَسَنٌ. في صحيحِ الجامعِ (٢١١٠).

قوله: «**مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَىٰ مَا يَصْدُرُ مِنَ النَّاسِ يَشْغَلُ الْخَاطِرَ وَيُكْثِرُ الْوَسْوَاسَ وَالْحِقْدَ وَيَقْطَعُ عَنِ الِاتِّبَاعِ ومتىٰ أَخَذَ العَبْدُ الحَقَّ الذي له بنفسٍ راضيةٍ من غيرِ أَنْ يَظْلِمَ خَصْمَهُ فلا تثريبَ عليه وإِنِ استعملَ العَفْوَ فذلك أقربُ للتقوىٰ وهو مع ذلك لا يَخْرُجُ عن الرضَا؛ لأَنَّ الرضا يُثْمِرُ السَّكِينةَ وبَرْدَ القَلْبِ ومن الرِّضَا عَدَمُ الالتفاتِ لكلامِ الناسِ فيهِ ولا يُغِلُّ عليهم قَلْبَهُ ومَنْ مِنَ الناسِ قد سَلِمَ مِن الناسِ واللهُ المُسْتَعَانُ!

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ – رحمهم اللهُ – إذا أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَ ابْنَهُ السُّلُوكَ أَنْ يَفْطِمَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ الْخَلْقِ فَخَرَجَ رَاكِبًا عَلَىٰ دَابَّةٍ هُوَ وَوَلَدُهُ فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَيْنِ كَيْفَ رَكِبَا عَلَىٰ هَذِهِ الدَّابَّةِ وَهِيَ لَا تُطِيقُ فَنَزَلَ وَلَدُهُ عَنْهَا وَبَقِيَ الْوَالِدُ رَاكِبًا فَقَالُوا: انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ كَيْفَ هُوَ رَاكِبٌ وَوَلَدُهُ يَمْشِي وَكَانَ الْوَلَدُ أَوْلَىٰ مِنْهُ بالرُّكُوبِ فَنَزَلَ الْوَالِدُ وَرَكِبَ الْوَلَدُ فَقَالُوا:

انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الْوَلَدِ مَا أَقَلَّ أَدَبَهُ أَبُوهُ يَمْشِي عَلَىٰ أَقْدَامِهِ، وَهُوَ رَاكِبٌ فَقَالَ لِوَلَدِهِ: انْزِلْ. فَنَزَلَ عَنِ الدَّابَّةِ وَمَشَيَا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمَا وَتَرَكَا الدَّابَّةَ تَمْشِي دُونَ رَاكِبٍ عَلَيْهَا فَقَالُوا: مَا أَقَلَّ عَقْلَ هذين يَمْشِيَانِ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمَا وَالدَّابَّةُ لَا رَاكِبَ عَلَيْهَا أَوْ كَمَا جَرَىٰ فَقَالَ لِوَلَدِهِ انْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتَبِرْ بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ فِيهِ، وَإِنْ عَمِلَ مَا عَمِلَ وَقَدْ رَأَيْتَهُ عِيَانًا فَعَلَّمَ وَلَدَهُ تَرْكَ النَّظَرِ لِلْمَخْلُوقِ بالْفِعْلِ»[1].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّ الرِّضَا يَفْتَحُ لَهُ بَابَ السَّلَامَةِ، فَيَجْعَلُ قَلْبَهُ سَلِيمًا نَقِيًّا مِنَ الْغِشِّ وَالدَّغَلِ وَالْغِلِّ، وَلَا يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بقَلْبٍ سَلِيمٍ، كَذَلِكَ وَتَسْتَحِيلُ سَلَامَةُ

(١) المدْخَلُ إلىٰ تَنْمِيَةِ الأعمالِ (٥/ ٤٢ - ٤٣).

الْقَلْبِ مَعَ السُّخْطِ وَعَدَمِ الرِّضَا، وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَشَدَّ رِضًا كَانَ قَلْبُهُ أَسْلَمَ، فَالْخُبْثُ وَالدَّغَلُ وَالْغِشُّ: قَرِينُ السُّخْطِ، وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ وَبِرُّهُ وَنُصْحُهُ: قَرِينُ الرِّضَا، وَكَذَلِكَ الْحَسَدُ: هُوَ مِنْ ثَمَرَاتِ السُّخْطِ وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنْهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الرِّضَا»[١].

٢٤ - إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ:

فإنْ ترغبوا في الصلحِ فالصلحُ صالحٌ وَإنْ تجْنَحُوا للسِّلمِ فالسِّلمُ أسْلمُ[٢]

إصلاحُ ذاتِ البينِ من أعظمِ أسبابِ سلامةِ الصدرِ من الضغائِنِ، والأحقادِ، والقطيعةِ والشحناءِ؛ لِمَا في ذلكَ من الفَضْلِ العظيمِ؛ ولهذا الفَضْلِ قال اللهُ ﷻ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النِّسَاءُ: ١١٤].

قال العلماءُ: «دَعَتِ الآيةُ الكريمةُ إلىٰ فضيلةِ الإصلاحِ بينَ الناسِ، وجَعَلَتْهَا خيرًا مُثابًا عليهِ، لما لَها من الأَثَرِ العظيمِ فيهِمْ، حيثُ تُحِلُّ الوئَامَ محلَّ الخِصَامِ، والراحةَ النفسيَّةَ مَحَلَّ القَلَقِ، والتفكيرَ في الخَيْرِ مكانَ التفكيرِ في الشَّرِّ، فيسودُ الأمنُ والسَّلامُ»[٣].

وقال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأَنْفَالُ: ١]. وقال ﷻ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساءُ: ١٢٨]، وقال سبحانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحُجُراتُ: ١٠].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**كلُّ سُلامَىٰ من الناسِ عليهِ صَدَقَةٌ**[٤]

---

(١) مدارِجُ السَّالكين (٢/ ٢٠١).

(٢) ديوانُ أبي فراسٍ (٣١٩).

(٣) التفسيرُ الوسيطُ لمَجْمَعِ البحوثِ (٢/ ٩٠٦).

(٤) علىٰ كُلِّ سُلامَىٰ من النَّاسِ صَدَقَةٌ أَي فِي كُلِّ عَظْمٍ ومِفْصَلٍ.

كلَّ يومٍ تطلعُ فيه الشَّمْسُ: تعدِلُ بين الاثنينِ صَدَقةٌ[١]، وتُعِينُ الرَّجُلَ علىٰ دابَّتِهِ فتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ له عليها مَتَاعَهُ صدقَةٌ، والكلمةُ الطيِّبَةُ صدقَةٌ، وكلُّ خطوَةٍ تمشِيها إلىٰ الصلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ[٢] الأَذَىٰ عن الطريقِ صَدَقَةٌ»[٣].

وعن أبي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أُخْبِرُكم بأفضَلِ من درجةِ الصِّيامِ، والصلاةِ، والصَّدَقَةِ؟**» قالوا: بلىٰ، قال: «**إِصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ**»[٤]، وهذا يؤكِّدُ أهميَّةَ إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ.

وعن الزبيرِ بنِ العوامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**دَبَّ إليكم داءُ الأُمَمِ قَبْلَكُم: الحَسَدُ والبَغْضَاءُ، هي الحالِقَةُ، لا أقولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، والذي نفسِي بيدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حتىٰ تُؤْمِنوا، ولا تُؤْمِنوا حتىٰ تَحَابُّوا، أفلا أُنَبِّئُكُمْ بما يُثَبِّتُ ذلكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**»[٥].

قَالَ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -:

رعَـــاكَ اللهُ كَيْـــفَ ينـــامُ قَلْـــبٌ ... وفيـــه مـــن الـــضغائِنِ مـــا يُـــشِيبُ

لقـــد أصْـــلَحتُ ذاتَ البـــينِ حتَّـــى ... جميـعُ النَّـاسِ مِـنْ حـولي حبيـبُ

---

(١) تعدلُ بينَ اثنينِ: أي تصلحُ بينهما بالعَدْلِ. شرحُ النَّوويِّ علىٰ صحيحِ مسلمٍ (٧/ ٩٩).

(٢) تميطُ: ترفَعُ ما يتأذَّىٰ به الناسُ مثل زجاجٍ أو شَوْكٍ، أو ما لَهُ رائحةٌ منتنةٌ كمَيْتَةٍ أو نحوِهِ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٢٩٨٩)، ومسلمٌ (١٠٠٩).

(٤) أخرجَهُ أبو داودَ (٤٩١٩)، والترمذيُّ (٢٥٠٩)، وقال: «هذا حديثٌ صحيحٌ»، وأحمدُ في المُسْنَدِ (٦/ ٤٤٤)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٢/ ٩٢٩).

والحالِقةُ: أي الماحِقَةُ للأَجْرِ والحَسَنَاتِ، وجاءَ في الترمذيِّ، ويروىٰ: «**لا أقولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدينَ**» (٤/ ٦٦٤) برقم ٢٥٠٩، ٢٥١٠.

(٥) الترمذيُّ، ٢٥١٠، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في صحيحِ الترمذيِّ (٢/ ٦٠٧)، وفي صحيحِ الترغيبِ والترهيبِ (٣/ ٩٩).

٢٥ - الاعْتِذَارُ[١]:

وقــد تقبــلُ العُــذْرَ الخَفِــيَّ تَكَرُّمًــا فمـا بـالُ عُـذْرِي واقفًـا وهـو واضِـحُ[٢]

الاعتذارُ مِنْ أعظمِ أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ فإذا أَغْضَبْتَ أخاكَ فَأَشْفِعْ غَضَبَكَ باعتذارٍ بالغٍ فإنَّ ذلكَ يَرُدُّ نزغَةَ الشيطانِ عنكما وما مِن شَكٍّ أَنَّ كُلَّ حِقْدٍ أو حَسَدٍ فَمَصْدَرُهُ الشيطانُ يُحَرِّشُ بين عبادِ اللهِ قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[٣].

فالشيطانُ هو الذي يَؤُزُّ هذا علىٰ هذا، ويريدُ أن يَحْقِدَ هذا علىٰ هذا، ويَنْفُخُ في نفسِ هذا، ويريدُ أَنْ يَمْتَلِئَ هذا قلبُهُ غَيْظًا علىٰ أخيهِ. فكُلُّ حِقْدٍ، أو حَسَدٍ مصدرُهُ هذا الشيطانُ.

ولك أَنْ تنظرَ إلىٰ حِرْصِ الصحابةِ علىٰ رَدِّ نَزْغَةِ الشيطانِ باعتذارٍ سريعٍ يمحو ما سَلَفَ ويُغْلِقُ بابَ الشيطانِ.

فعنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَىٰ عَلَىٰ سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا قَالَ فَقَالَ أبو بَكْرٍ أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**».

فَأَتَاهُمْ أبو بَكْرٍ فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ[٤].

---

(١) انظرْ كتابي (الاعتذارُ فنٌّ وذوقٌ) ثم ارتشِفْ منه ما هو أَشَفُّ من الماءِ في زجاجِهِ، واشْتَفَّ ما هو ألذُّ من الرحيقِ في مِزاجِهِ.

(٢) ديوانُ المتنبي (٣٨).

(٣) رواهُ مسلمٌ (٢٨٢١).

(٤) رواهُ مسلمٌ (٢٥٠٤).

٢٦ - العَفْوُ والصَّفْحُ:

فــلا تَتْــرُكَنَّ العفــوَ عــنْ كــلِّ زلــةٍ فما العَفْو مَـذمُومٌ وَإن عظُـمَ الجُـرْمُ[١]

من أسبابِ سلامةِ الصَّدْرِ العفوُ والصَّفْحُ لأَنَّ العفوَ يُزِيلُ الأحقادَ من الصدورِ فسامِحْ غَيْرَكَ فيما قد يَصْدُرُ منه من خَطَإٍ صغيرًا كانَ أو كبيرًا فالعفوُ والمسامَحَةُ خُلُقٌ من أخلاقِ النُّبُوَّةِ.

فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «لمْ يكُنْ رسولُ اللهِ ﷺ فاحِشًا ولا مُتفحِّشًا، ولا سَخَّابًا في الأسواقِ، ولا يَجزِي بالسيِّئةِ السيِّئةَ، ولكنْ يَعْفُو ويَصْفحُ»[٢].

وحَثَّ ﷺ علىٰ العفوِ وبيَّنَ أنه طريقُ العِزَّةِ فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[٣].

قال ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ تعالىٰ: «مَشْهَدُ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ فَإِنَّهُ مَتَىٰ شَهِدَ ذَلِكَ وَفَضْلَهُ وَحَلَاوَتَهُ وَعِزَّتَهُ: لَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ إِلَّا لِغشًىٰ فِي بَصِيرَتِهِ. فَإِنَّهُ «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» كَمَا صَحَّ ذلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَعُلِمَ بالتَّجْرِبَةِ وَالْوُجُودِ. وَمَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلَّ.

هَذَا، وَفِي الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ: مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ، وَشَرَفِ النَّفْسِ، وَعِزِّهَا وَرِفْعَتِهَا عَنْ تَشَفِّيهَا بالِانْتِقَامِ: مَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ فِي الْمُقَابَلَةِ وَالِانْتِقَامِ[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا مَشْهَدٌ شَرِيفٌ جِدًّا لِمَنْ عَرَفَهُ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ. وَهُوَ أَنْ لَا

---

(١) ديوانُ أبي فِراسٍ (٣١٤).

(٢) البخاريُّ (٤٦٤٣).

(٣) رواهُ مسلمٌ (٢٥٨٨).

(٤) مدارجُ السَّالكينَ (٣/ ٣٠٣).

يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ وَسِرُّهُ بِمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذىٰ، وَطَلَبِ الْوُصُولِ إِلَىٰ دَرْكِ ثَأْرِهِ، وَشِفَاءِ نَفْسِهِ. بَلْ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنْ ذَلِكَ»[١].

سامِحْ أخاكَ إذا أتاكَ بِزَلَّةٍ ... فخلوصُ شيءٍ قلَّما يَتَمَكَّنُ

في كُلِّ شيءٍ آفةٌ موجودةٌ ... إِنَّ السِّراجَ على سَنَاهُ يُدَخِّنُ[٢]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

أَحَبُّ قلوبَ النَّاسِ لِلهِ قَلْبُ مَنْ ... تَملَّكَهُ في خَلْقِهِ العفوُ والصفحُ

وخيرُ أكفِّ النَّاسِ عِنْدَ مَلِيكها ... سخيٌّ كريمٌ، باذلٌ بالعطا سَمْحُ

كيفَ يكونُ العَفْوُ؟

«إِذا مَا امْرُؤ من ذنبه جَاءَ تَائِبًا ... إِلَيْك فَلم تغْفر لَهُ فلك الذَّنب»[٣]

العفوُ من غيرِ اعتذارٍ يحصُلُ من الآخَرينَ، درجةٌ لا ينالُها إلا الأكابرُ وأصحابُ الهِمَمِ العاليةِ والنفوسِ الشريفةِ، لكنْ إذا جاء أخوكَ معتَذِرًا، فاقبلْ اعتذارَهُ بأحسَنَ منه وأَجْمَلَ.

فعَن أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كنتُ جَالِسًا عِنْد النَّبيِّ ﷺ، إِذْ أقبلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّىٰ أبدىٰ عَن رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أما صَاحبُكُم فقد غامَرَ**» فسلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي كَانَ بيني وَبَينَ ابْنِ الْخطَّابِ شَيْءٌ، فأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يغْفِرَ لي، فَأَبَىٰ عَلَيَّ، فَأَقْبَلتُ إِلَيْك. فَقَالَ: «**يغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلَاثًا.

ثمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأتىٰ منزِلَ أبي بَكْرٍ، قَالَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ قَالُوا: لَا، فَأَتَىٰ النَّبيَّ ﷺ فَجعَلَ

---

(١) المرجَعُ السابِقُ (٢/ ٣٠٤).

(٢) ديوانُ الحدادِ القَيْسِيِّ (٩٣).

(٣) الجوهرُ النفيسُ (١٤٢).

وَجْهُ النَّبيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا علىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنا كُنْتُ أَظْلَمَ - مرَّتَيْنِ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فقلتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بكرٍ: صَدَقَ. وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تاركونَ لي صَاحِبِي؟**» فَمَا أُوذِيَ بعْدَهَا[١].

فتأَمَّلْ كيفَ جَعَلَ النبيُّ ﷺ عَدَمَ قَبولِ عُمَرَ اعْتذارَ أبي بكرٍ أَذِيَّةً له؛ حتىٰ أنه مَا أُوذي بَعْدَها، والظاهِرُ أَنَّ هذا خاصٌّ بالكِرامِ الذين لا يُعْرَفُون بغيرِ الخَيرِ وتَحْصُلُ منهم الهِناتُ اليسيرةُ لكنَّهم يُسارِعون إلىٰ مَحْوِها[٢].

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ. ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ مِنْ إِسَاءَتِهِ، فَإِنَّ التَّوَاضُعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ، حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلًا. وَتَكِلُ سَرِيرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ[٣].

وقال: وَعَلَامَةُ الْكَرَمِ وَالتَّوَاضُعِ: أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْخَلَلَ فِي عُذْرِهِ لَا تُوقِفُهُ عَلَيْهِ وَلَا تُحَاجِّهِ. وَقُلْ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ. وَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ، وَالْمَقْدُورُ لَا مَدْفَعَ لَهُ. وَنَحْوُ ذَلِكَ[٤].

قال المتنبي:

وإِنْ كـــان ذنبـــي كُـــلَّ ذنـــبٍ فإنَّـــهُ محا الـذنبَ كُـلَّ الـذَّنْبِ مـن جـاء تائِبـا[٥]

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٤٦١).

(٢) قالَ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ العسقلانيُّ في فتحِ الباري: إنَّ الشيءَ الذي كانَ بينهما رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إنَّما هو محاورةٌ أو مراجَعَةٌ أو معاتَبَةٌ. انظر الفتحَ عند شرحِ حديثِ رقمِ (٣٦٦١).

(٣) مدارجُ السَّالكين (٢/ ٣٤١).

(٤) المرجعُ السابقُ (٢/ ٣٤١).

(٥) ديوانُ المتنبي (٢٢).

وقال آخَرُ:

اقبـل معـاذيرَ مـن يأتيـك مُعْتَـذِرًا ... إن بـرَّ عنـدَك فيمـا قـالَ أو فَجَـرا

لقـد أطاعَـكَ مَـنْ يُرْضِـيك ظـاهِرُهُ ... وقـد أجَلَّـك مَـنْ يعـصِيك مُـسْتَتِرا[1]

٢٧ - الدعاء:

وَمِفْتَـاحُ تَوْفِيـقِ الفتـى صِـدْقُ رَغْبَـةٍ ... وَرَهْبَتِـهِ ثُـمَّ الـدُّعَاءُ المُكْـرَمُ[2]

الدعاءُ بإذهاب سَخِيْمَةِ القلبِ من أعظمِ أسبابِ سلامةِ الصدرِ:

فادْعُ اللهَ أَنْ يجعلَ قلبَكَ سليمًا لإخوانِكَ المؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

وكان من دعائِهِ - صلىٰ اللهُ عليه وآلِهِ وسلَّمَ: «**وَاسْلُلْ سخيمةَ**[3] **قَلبي**» وعنَد التِّرمذيِّ:«**وَاسْلُلْ سخيمةَ صَدْرِي**»[4]. والسخيمةُ الحِقْدُ في النفسِ والقلبِ، وقد سألَ النبيُّ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُخْرِجَ هذا الداءَ من قلبِهِ فلا يبقىٰ فيه شيءٌ من هذا الدَّاءِ العُضَالِ[5]. وهذه مَنْقَبةٌ وخِلَّةٌ عظيمةُ الشَّأْنِ قليلٌ هَمُ الذين يَتَحَلَّونَبها؛ لأَنَّه عسيرٌ علىٰ النفسِ أَنْ تتجرَّدَ من حظوظِها، وتتنازَلَ عن حقوقها لغيرها، هذا مع ما يَقَعُ من

---

(١) الديوانُ المنسوبُ للشَّافِعِيِّ (٥١).

(٢) مجموعةُ القصائد الزهدياتِ (١/ ٢٤١).

(٣) السخيمةُ: الحِقْدُ والضَّغِينةُ والمَوجِدَةُ في النفسِ. (لسانُ العَرَبِ: ١٢/ ٢٨٢) مادةُ: سَخَمَ.

(٤) أبو داودَ، (١٥١٠)، والترمذيُّ، (٢٥٥١)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ أبي داودَ (١/ ٤١٤).

(٥) انظرْ: النهايةَ في غريبِ الحديثِ لابنِ الأثيرِ (٢/ ٣٥١،٣٩٢).

كثيرٍ من الناسِ من التَّعدِّيْ والظُّلْمِ، فإذا قابَلَ المَرْءُ ظُلْمَ النَّاسِ وجهْلَهم وَتعَدِّيَهُمْ بسلامةِ صَدْرٍ، ولم يقابلْ إساءَتَهم بإساءةٍ، ولم يَحْقِدْ عليهم، نالَ مرتبةً عاليةً من الأخلاقِ الرفيعةِ والسَّجايا النبيلةِ.

وهو عزيزٌ ونادرٌ في النَّاسِ.

مَوانِعُ اكتسابِ سلامةِ الصَّدْرِ

موانعُ اكتسابِ سلامة الصدرِ جَمَّةٌ غزيرةٌ أكثرُ منها:

١ - تحريشُ الشَّيطانِ:

أرى الشيطانَ يُوعِدُني شُرورًا ... ووعْدُ اللهِ بالخيراتِ أَوْفَى[١]

ومن موانِعِ اكتسابِ سلامةِ الصدرِ تحريشُ الشيطانِ بينَ النَّاسِ؛ لِيُسَبِّبَ العداوةَ بينهم، عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[٢].

والمعنىٰ أَنَّه يُغيِّرُ القلوبَ فَيُدْخِلُ فيها البغضاءَ والتقاطُعَ، ويَسْعَىٰ في التحريشِ بين النَّاسِ بالخصوماتِ والشَّحْنَاءِ، والحروبِ، والفِتَنِ[٣].

وها هو الشيطانُ يبعَثُ سراياهُ بينَ الناسِ؛ لإفسادِهِمْ؛ فَعَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّىٰ فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**».

قَالَ الأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ.

- وفي روايةٍ: إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَىٰ الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ،

---

(١) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٢٩٠١).

(٢) رواهُ مُسْلمٌ (٢٨١٢).

(٣) انظر: شرحَ النوويِّ علىٰ صحيحِ مُسلمٍ (١٧/ ١٦٢).

فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً[١].

- قَالَ الإمامُ النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْعَرْشُ هُوَ سَرِيرُ الْمُلْكِ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَرْكَزَهُ الْبَحْرُ، وَمِنْهُ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ، وقَوْلُهُ: «فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ» هُوَ بِكَسْرِ النُّونِ وَإِسْكَانِ الْعَيْنِ وَهِيَ نِعْمَ الْمَوْضُوعَةُ لِلْمَدْحِ فَيَمَدَحُهُ لِإِعْجابِهِ بصُنْعِهِ وَبُلُوغِه الْغَايَةَ الَّتِي أَرَادَهَا قَوْلُهُ: «فَيَلْتَزِمُهُ» أَيْ يَضُمُّهُ إِلَىٰ نَفْسِه وَيُعَانِقُهُ»[٢].

٢ - إغواءُ قرينِ الإنسانِ:

قـــارِنْ قَرِينَـــكَ واسْـــتَعِد لِبَيْنِـــهِ إنَّ الْقَـــرِينَ مِـــنَ الْقَـــرِينِ مُبـــاينُ[٣]

ومن موانعِ سلامةِ الصدرِ قرينُ الإنسانِ فهو من أسباب البلاء والفتنةِ والشَّرِّ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ - ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**[٤]» وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ من عندِهَا لَيْلًا، قالتْ: فَغِرْتُ عليه، فجاءَ فَرأىٰ ما أَصْنَعُ، فقال: «**مالَكِ يا عائشَةُ أَغِرْتِ؟**» فقلتُ: وما لِيَ لا يَغارُ مِثْلي علىٰ مِثْلِكَ؟! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**قد جاءَكِ شيطانُكِ**» قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ: أَوَمَعِي شيطانٌ؟! قال: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إنسانٍ؟ قال: «**نَعَمْ**» ومَعَكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**نَعَمْ، ولكنَّ أعانَني عليهِ حتىٰ أَسْلَمَ**»[٥].

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٢٨١٢).

(٢) شرحُ النوويِّ علىٰ صحيحِ مسلمٍ (١٧/ ١٦٢).

(٣) القصائدُ الزهدياتُ (٢/ ٢٧٨).

(٤) مسلمٌ (٢٨١٣).

(٥) مسلمٌ (٢٨١٥).

والظاهِرُ أَنَّ شيطانَ النبيِّ ﷺ صارَ مؤمنًا لَا يَأْمُرُ النبيَّ ﷺ إلا بخيرٍ، وفي هذا الحديثِ إِشارةٌ إلىٰ التحذيرِ من فِتْنَةِ القرينِ، وَوَسْوَسَتِهِ، وإِغوائِهِ، فَأَعْلَمَنَا النبيُّ ﷺ أَنَّهُ معَنَا؛ لِنَحْتَرِزَ منه بِحَسْبِ الإِمكانِ[1].

٣ - الغَضَبُ بالباطِلِ[2]:

ولـم أرَ في الأعـداءِ حـين اخْتبَـرْتُهُمْ عَدُوًّا لِعَقْلِ المَرْءِ أعدَىٰ مِن الغَضَبْ

من موانِعِ اكتسابِ سلامةِ الصَّدْرِ الغضَبُ بالباطِلِ ومتىٰ أَغْضَبْتَ أخاكَ فسارِعْ إلىٰ تضميدِ الجُرْحِ باعتذارٍ بالِغٍ، واطلبْ العَفْوَ والصَّفْحَ قبلَ أَنْ يبتَ الجُرْحُ علىٰ فَسَادٍ ويتحَولَ الغَضَبُ بالباطِلِ إلىٰ حقدٍ؛ لأَنَّ أَوَّلَ سَخَنِ الصدرِ يكونُ من قِبَلِ الغَضَبِ، فإذا لم تعتذرْ مِمَّنْ أغضبْتَهُ، أو يَعْتَذِرْ إليك تحوَّلَ الغَضَبُ إلىٰ حِقْدٍ، والحِقْدُ يتحوَّلُ إلىٰ حَسَدٍ، فكَانَ قَطْعُ الداءِ من أَوَّلِهِ من الحَزْمِ؛ لِأَنَّ من النَّاسِ كما قِيلَ: يَحْمِلُ نَفْسًا مظلمةً، وقلبًا أسودًا، لا يعرفُ لِلْعَفْوِ طريقًا، ولا للصفحِ سبيلًا، فبمجرَّدِ أدنىٰ إساءةٍ تَقَعُ في حَقِّهِ من أَحَدِ إخوانِهِ تَجِدُهُ يَحْقِدُ عليه ولا يكادُ يَنْسَىٰ إِسَاءَتَهُ مهما تقادَمَ العَهْدُ عليها، فَتَجِدُهُ يتربَّصُ بصاحِبِهِ الدوائِرَ، وينتظرُ منه غِرَّةً، لِيَنْفُذَ إليه منها، ويُصِيبَهُ من خلالِها، فَيَشْفِيَ غَيْظَهُ ويروِيَ غَلِيْلَهُ[3].

والغضبُ ينقسِمُ إلىٰ قِسمين محمودٍ ومذمومٍ:

١ - الغَضَبُ المحمودُ:

المحمودُ يكونُ من أجلِ اللهِ عندما تُرْتَكَبُ حُرُماتُ اللهِ، أو تُتْرَكُ أوامِرُهُ ويُستهانُ

(١) شرحُ النوويِّ علىٰ صحيحِ مُسْلِمٍ (١٧/ ١٦٤).

(٢) قال الجرجانيُّ: (الغَضَبُ: تَغَيُّرٌ يحصُلُ عند غليانِ دَمِ القَلْبِ لِيَحْصُلَ عنه التَّشَفِّي للصَّدْرِ) (التعريفاتُ) (٢٠٩).

(٣) الهِمَّةُ العاليةُ لِلْحَمْدِ (٥٥).

بها، وهذا من علاماتِ قوةِ الإيمانِ، ولكنْ بشرطِ أَنْ لا يَخْرُجَ هذا الغَضَبُ عن حدودِ الحِلْمِ والحِكْمَةِ، وقد كانَ رسولُ الله ﷺ يَغْضَبُ لِلَّهِ إذا انْتُهِكَتْ محارِمُهُ، وكان لا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، ولكنْ إذا انْتُهِكَتْ حرماتُ اللهِ لم يَقُمْ لِغَضَبِهِ شيءٌ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سبيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُنْتَصِرًا من مظلْمَةٍ ظُلِمَهَا قطُّ مَا لَمْ يُنْتَهَكْ من محارِمِ اللهِ، فَإذا انْتُهِكَ من محارِمِ اللهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهم فِي ذَلِك غَضَبًا، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمريْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُما مَا لم يَكُنْ إِثْمًا»(٢).

غَضُوبٌ لِدينِ اللهِ فِي كُلِّ موطِنٍ يَعافُ الرِّضَى حتى يرى الدينَ راضِيًا(٣)

٢ - الغَضَبُ المذمومُ:

الغَضَبُ المذمومُ هو الغَضَبُ بالباطِلِ: وهو ما كان انتقامًا للنَّفسِ، وهذا الغَضَبُ تَتَرَتَّبُ عليه نتائجُ خطيرةٌ علىٰ الإنسانِ ذاتِهِ وعلىٰ مجتَمَعِهِ، وهو الذي يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ وَتَرْكُهُ يَجْمَعُ لك حُسْنَ الخُلُقِ كُلَّهُ، قِيْلَ لِابْنِ المُبَارَكِ: «اجْمَعْ لنا حُسْنَ الخُلُقِ فِي كلمةٍ، قال: تَرْكُ الغَضَبِ»(٤).

ويكفي الثناءُ من اللهِ لِمَنْ تَرَكَ الغَضَبَ بالباطِلِ قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ

(١) «صحيحُ مسلمٍ» (برقَمِ ٢٣٢٨).
(٢) الحديثُ أَخْرَجَهُ البخاريُّ (٣٣٦٧) ومسلمٌ (٢٣٢٧).
(٣) الدُّرَّةُ الخطيرةُ في شُعَرَاءِ الجَزِيْرَةِ (٣٦).
(٤) «جامعُ العلومِ والحِكَمِ» لابنِ رَجَبٍ (١/ ٣٦٣).

﴿ٱلْإِثْمَ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى:٣٧].

وقال اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤].

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**»(١).

قَالَ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ «**لا تَغْضَبْ**»: اجْتَنِبْ أسبابَ الغَضَبِ، ولا تَتَعَرَّضْ لِما يَجْلِبُهُ وَأَمَّا نَفْسُ الغَضَبِ فلا يتأتَّىٰ النَّهْيُ عنه، لأَنَّهُ أَمْرٌ طبيعيٌّ لا يزولُ من الجِبِلَّةِ(٢).

وقال ابنُ التينِ رَحِمَهُ اللهُ: جَمَعَ ﷺ في قولِهِ: «**لا تَغْضَبْ**» خَيرَ الدنيا والآخرةِ؛ لِأَنَّ الغَضَبَ يؤولُ إلىٰ التقاطُعِ، ومنع الرِّفْقِ، ورُبَّما آلَ إلىٰ أَنْ يُؤْذِيَ المغضوبَ عليه فَيَنْتَقِصَ ذلكَ من الدِّينِ(٣).

قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللهُ بعدما ذَكَرَ مفاسِدَ الغَضَبِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هذه المفاسِدَ فِي مِقْدارِ ما اشتملَتْ عليه هذه الكلمةُ اللطيفةُ من قَولِهِ ﷺ: «**لا تَغْضَبْ**» من الحكمةِ، واستجلابِ المصلحةِ، ودَرْءِ المَفْسَدَةِ، مِمَّا يَتعذَّرُ إحصاؤُهُ والوقوفُ علىٰ نهايَتِهِ، وهذا كُلُّهُ فِي الغَضَبِ الدُّنيويِّ لا الغَضَبِ الدِّينِيِّ(٤).

وأَخْبَرَ النبيُّ ﷺ أَنَّ القويَّ ليسَ الذي يَصْرَعُ الرِّجَالَ، ولكنَّه الذي يُمْسِكُ نَفْسَهُ

---

(١) رواهُ البخاريُّ (برقم ٦١١٦).

(٢) «فَتْحُ البارِي» (١٠/ ٥٢٠).

(٣) «فتحُ الباري» (١٠/ ٥٢٠).

(٤) «فتحُ الباري» (١٠/ ٥٢٠ - ٥٢١).

عند غَضَبِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْمٍ يَصْطَرِعُونَ، أَي: يَلْعَبُونَ مصارَعَةً، فَقَالَ: «**ما هذا؟!**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! فُلَانٌ الصَّرِيْعُ - أي: المُصَارِعُ - لا يُنْتَدَّبُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا صَرَعَهُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟! رَجُلٌ ظَلَمَهُ رَجُلٌ؛ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَغَلَبَهُ، وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ، وَغَلَبَ شَيْطَانَ صَاحِبِهِ**»(٢).

هذا هو المصارِعُ الحقيقيُّ، وليسَ الذي يَصْرَعُ النَّاسَ بقوَّتِهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟**» الصُّرَعَةُ: الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، فَقُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «**لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(٣).

وَوَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ بِالجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ**»(٤).

الأسبابُ التي يُدْفَعُ بها الغَضَبُ:

١ - **أَنْ يَتَأَمَّلَ الأَخبارَ الواردةَ في فَضْلِ كَظْمِ الغَيْظِ والعَفْوِ والحِلْمِ**، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُيَيْنَةَ بنَ حصْن استأذَنَ عَلَىٰ عُمَرَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِي يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٦١١٤)، ومسلمٌ (٢٦٠٩).

(٢) أَخْرجَهُ البَزارُ كما في كشف الأَسْتارِ (٢/ ٤٣٩، رقم: ٢٠٥٤)، الصَّحِيحَةُ: (٣٢٩٥).

(٣) رواهُ مسلمٌ (٢٦٠٨).

(٤) أخرجَهُ الطبرانيُّ في «مُسْنَدِ الشاميِّينَ» (٢١)، وقال المُنْذِريُّ: رواهُ الطبرانيُّ بإسنادَينِ أَحَدُهما صحيحٌ. وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٧٣٧٤).

تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ(١).

وعن سَهلِ بنِ مُعَاذٍ عَن أَبيه رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ - تبارَكَ وتعالَىٰ - عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ الْحُورِ شَاءَ**»(٢).

٢ - **أَنْ يستعيذَ باللهِ من الشيطانِ الرَّجِيْم**، فعن سُليمَانَ بنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ(٣).

قال الطوفيُّ: أَقْوَىٰ الأشياءِ فِي دَفْعِ الغَضَبِ اسْتِحْضَارُ التوحيدِ الحقيقيِّ وهو أَنَّ لا فاعلَ إلا الله، وكلُّ فاعِلٍ غَيرُهُ فهو آلةٌ له، فَمَنْ تَوجَّهَ إليه بمكروهٍ من جِهَةٍ غيرِهِ فاسْتَحْضرَ أَنَّ اللهَ لو شاءَ لم يُمَكِّنْ ذلك الغَيْرَ منه انْدَفَعَ غَضَبُهُ لأَنَّهُ لو غَضِبَ والحالةُ هذه كان غَضَبُهُ علىٰ رَبِّه - جَلَّ وعلا -، وهو خِلافُ العبوديَّةِ(٤).

قال ابنُ حَجَرٍ: وبهذا يَظْهَرُ السِّرُّ في أمرِهِ ﷺ الذي غَضِبَ بأَنْ يستعيذ من الشيطانِ لأَنَّهُ

---

(١) رواهُ البخاريُّ (برقَمِ ٤٦٤٢).

(٢) مسندُ الإمامِ أَحْمَدَ (٢٤/ ٣٩٨) (برقَمِ ١٥٦٣٧)، وقال مُحَقِّقُوه: إِسنادُهُ حَسَنٌ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٦١١٥)، ومسلمٌ (٢٦١٠).

(٤) «فتحُ الباريْ» (١٠/ ٥٢١).

إذا تَوَجَّهَ إلىٰ الله في تلكَ الحالةِ بالاستعاذةِ به من الشيطانِ أَمْكَنَهُ استحضارُ ما ذَكَرَ، وإذا استمرَّ الشيطانُ مُتَلبِّسًا مُتَمَكِّنًا من الوسوسَةِ لم يُمَكِّنْهُ من استحضارِ شيءٍ من ذلكَ(١).

٤ - الجُلوسُ:

عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»(٢).

قال الخطَّابي: القائمُ متهيِّيءٌ للحركةِ والبَطْشِ، والقاعِدُ دُونَهُ في هذا المَعْنَىٰ، والمُضْطَجِعُ ممنوعٌ منهما فَيُشْبَهُ أن يكونَ النبيُّ ﷺ إِنَّما أَمَرَهُ بالقُعُودِ لِئَلَّا يَنْدُرَ منه في حالِ قيامِهِ وقعودِهِ بادِرَةٌ يَنْدمُ عليها فيما بَعْدُ(٣).

قال ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلَ النَّاسُ النارَ من ثلاثةِ أبوابٍ، بابِ شُبْهَةٍ أَوْرَثَتْ شكًّا فِي دِيْنِ اللهِ، وبابِ شهوةٍ أَوْرَثَتْ تقديمَ الهوىٰ علىٰ طاعتِهِ ومرضاتِهِ، وبابِ غَضَبٍ أَوْرَثَ العُدْوانَ علىٰ خَلْقِهِ»(٤).

٥ - لَا تَعْتَدَّ بقولِ الغَضْبَانِ إِذَا غَضِبَ:

دَعِ الغضوبَ ولا تَعْتَدْ بقولتِه ... فالعقل لا يَصْحَبُ الإنسانِ إِنْ غَضِبا(٥)

الغضبانُ كالسَّكْرانِ لا يُؤاخَذُ بما يَقُولُ وكرامُ الناسِ يَقْضُونَ هذا الحَقَّ، قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: متىٰ رأيتَ صاحِبَكَ قد غَضِبَ، وأَخَذَ يتكلَّمُ بما لا يَصْلُحُ، فلا ينبغي

---

(١) «فتحُ الباريْ» (١٠/ ٥٢١).

(٢) «سُننُ أبي داودَ» (برقم ٤٧٨٢)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ أبي داودَ» (٣/ ٩٨) (برقم ٤٠٠٠).

(٣) «عَوْنُ المعبودِ شرحُ سُنَنِ أبي داودَ» (٧/ ٩٧).

(٤) «الفوائِدُ» (ص ٧٢).

(٥) قاله أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ الله -.

أَنْ تَعْقِدَ علىٰ ما يقولُهُ خِنْصَرًا[١]، ولا أَنْ تؤاخِذَهُ به، فَإِنَّ حَالَهُ حالُ السَّكْرانِ، لا يدرِيْ ما يَجْرِيْ. بل اصْبِرْ لِفَوْرَتِهِ، ولا تُعَوِّلْ عليها؛ فَإِنَّ الشيطانَ قد غَلَبَهُ، والطَّبْعَ قد هاجَ، والعَقْلَ قد اسْتَتَرَ[٢].

ومتىٰ أَخَذْتَ في نفسِكَ عليه، أو أَجَبْتَهُ بِمُقْتَضَىٰ فِعْلِهِ، كنتَ كعاقِلٍ واجَهَ مَجنونًا، أو كَمُفِيْقٍ عاتَبَ مُغْمَىً عليه، فالذَّنْبُ لَكَ.

بل انْظُرْ بعينِ الرَّحْمَةِ، وتلمَّحْ تصريفَ القَدَرِ له، وتفرَّجْ في لَعِبِ الطَّبْعِ بِهِ، واعْلَمْ أَنَّهُ إذا انْتَبَهَ، نَدِمَ علىٰ ما جَرَىٰ، وعَرَفَ لك فَضْلَ الصَّبْرِ.

وَأَقَلُّ الأَقْسامِ أَنْ تُسَلِّمَهُ فيما يَفْعَلُ في غَضَبِهِ إلىٰ ما يَسْتَرِيْحُ به.

وهذهِ الحالةُ ينبغي أن يَتَلمَّحَها الوَلَدُ عند غَضَبِ الوالِدِ، والزوجَةُ عند غَضَبِ الزوجِ، فَتَتْرُكَهُ يَشْتَفِيْ بما يقولُ: ولا تُعَوِّلُ علىٰ ذلك، فسيعودُ نادمًا مُعْتَذِرًا.

ومتىٰ قُوبِلَ علىٰ حَالتِهِ ومقَالتِهِ؛ صَارَتْ العداوةُ متمكِّنَةً، وجازَىٰ في الإِفاقَةِ علىٰ ما فُعِلَ في حَقِّهِ وقْتَ السُّكْرِ.

وأكثرُ الناسِ علىٰ غيرِ هذه الطريقِ: متىٰ رأَوا غَضْبَانَ، قابَلُوهُ بما يقولُ ويَعْمَلُ، وهذا علىٰ غيرِ مُقْتَضَىٰ الحِكْمَةِ، بل الحِكْمَةُ ما ذَكَرْتُهُ، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣][٣].

وإذا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُورًا كاظِمًا ... للغَيْظِ تُبْصِرُ ما تقولُ وتَسْمَعُ

---

(١) أي: لا يَعْتَدَّ بكلامِهِ.

(٢) ومن هذا البابِ حَديثُ: «**لا يَقْضِي القاضِي وَهُوَ غَضْبَانُ**» مُتَّفق عَلَيْهِ من حَديثِ أبي بَكْرَةَ.

(٣) صيد الخاطِر (٢٩٥ - ٢٩٦).

فكفـى بِـهِ شَـرَفًا تَـصَبُّرُ سـاعةٍ يَرْضَـى بهـا عَنْـكَ الإِلَـهُ وتُرْفَـعُ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

لا تُعْـطِ غَيظَـكَ حـبلًا يحتويـك بِـهِ ولا هـواك مُنـاهُ إِنَّـه العطَـبُ

فكيف يغدو سليمَ الصدرِ من لَعِبَتْ بِـهِ أيـادي الهـوى واقْتَـادَهُ الغـضبُ

٤ - الحِقْدُ:

لا يحْمِـلُ الحِقْـدَ مَـنْ تَعْلُـو بِـهِ الرُّتَـبُ ولا ينـالُ العُلَـى مَـنْ طبعـهُ الغَـضَبُ[١]

الحِقْدُ وما أدراكُ ما الحِقْدُ! الحِقْدُ مَجْمَعُ شُرورِ الصَّدْرِ ومنه يتولَّدُ الحَسَدُ ومن الحَسَدِ تتوالَدُ العداوةُ وأَصْلُ ذلك الغَضَبُ بالباطِلِ فإذا عَجَزَ المَرْءُ عن الانتقامِ مِمَّنْ أَغْضَبَهُ بظُلْمٍ ارْتَدَّ ذلك الغَضَبُ وتَجَمَّعَ في الصَّدْرِ في صورةِ الحِقْدِ ومن الحِقْدِ جاء أشأَمُ مولودٍ وهو الحَسَدُ ذريَّةً بعضُها من بَعْضٍ ولهذا قال العلماءُ: إِنَّ هذه الثلاثَةَ بينها تلازُمٌ.

ويُعَّرفُ الحِقْدُ بِأَنَّهُ إِضْمارُ الشَّرِّ للجاني إذا لم يَتَمّكَنْ من الانتقامِ منه فأَخفَىٰ ذلك الاعتقادَ إلىٰ وَقْتِ إِمكانِ الفُرْصَةِ[٢].

وقِيْلَ: هو «سوءُ الظَّنِّ في القَلْبِ علىٰ الخلائِقِ لأَجْلِ العداوَةِ»[٣].

حُكْمُهُ:

قال العلماءُ: إِنَّ الحقدَ من الكبائِرِ، وأوردَ ابنُ حَجَرٍ الهيتميُّ في كتابِهِ «الزَّواجِرُ» أَنَّ من الكبائِرِ الغَضَبَ بالباطِلِ والحِقْدَ والحَسَدَ وذَكَرَ سَبَبَ جَمْعِهِ لهذهِ الكبائِرِ

(١) دواوينُ الشِّعْرِ العربيِّ (٣/ ١٢٤).

(٢) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحِظِ (ص: ٣٣).

(٣)«التعريفاتُ» للجُرجانيِّ (ص:٩١).

الثَّلاثِ بقولِهِ: «لَمَّا كَانَتْ هذه الثلاثَةُ بينَها تلازُمٌ وتَرَتُّبٌ، إذِ الحَسَدُ من نتائِجِ الحِقْدِ، والحِقْدُ من نتائِجِ الغَضَبِ كانت بِمَنْزِلَةِ خَصْلَةٍ واحدةٍ، وذَمُّ كُلٍّ يَسْتَلْزِمُ ذَمَّ الآخَرِ؛ لِأَنَّ ذَمَّ الفَرْعِ وفَرْعِهِ يَسْتَلْزِمُ ذَمَّ الأَصْلِ وأَصْلِهِ وبالعَكْسِ»[1].

ذَمُّ الحِقْدِ:

الحِقْدُ مذمومٌ بِكُلِّ لسانٍ، لا يصْدُرُ إلا من نفسٍ دنيئةٍ ولا يليق بالكرامِ فلا تَكْمُلُ رجولةُ الرجال[2] إلا بكراهةِ الحِقْدِ من نفسِهِ، والتَّخَلُّصِ منه بالعَفْوِ والمُسَامَحَةِ، قال اللهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة:٢٠٤ - ٢٠٥].

وقال اللهُ ﷻ: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ [التوبة:٨].

وقال اللهُ ﷻ: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾ [التوبة:٦٤].

فمن خِلالِ ما سَبَقَ ذكرُهُ يَتَبَيَّنُ لك أَنَّ الغِلَّ والحِقْدَ علىٰ عبادِ اللهِ صِفَةٌ من صِفاتِ المُنافِقينَ.

وقالَ اللهُ ﷻ عن أَهْلِ الجَنَّةِ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الأعراف:٤٣].

---

(١) الزواجر عن اقترافِ الكبائرِ لابنِ حَجَرٍ (١/ ٨٣).

(٢) انظر كتابي (صِناعَةُ الرِّجالِ) ففيه أحاديثُ تعطَّرَتْ منها الرُّبَىٰ والمسالِكُ.

وقال ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحِجر:٤٧ - ٤٨].

قال الطبريُّ: «وأذْهَبْنا من صدورِ هؤلاءِ الذينَ وَصَفَ صِفتَهُمْ، وأَخْبَرَ أنهم أصحابُ الجَنَّةِ، ما فيها من حِقْدٍ وغِمْرٍ وعَداوةٍ كان من بعضِهِم في الدنيا علىٰ بَعْضٍ، فَجَعَلَهم في الجَنَّةِ إذا أُدْخِلُوها علىٰ سُرُرٍ مُتَقابلين، لا يَحْسَدُ بعضُهُم بَعْضًا علىٰ شيءٍ خَصَّ اللهُ به بعضَهم وفضَّلَهُ من كرامَتِهِ عليه، تَجْرِي من تحتِهم أنهارُ الجَنَّةِ»(١).

وقال القرطبيُّ: «ذَكَرَ اللهُ ﷻ فيما يُنْعِمُ به علىٰ أهلِ الجنةِ نَزْعَ الغِلِّ من صدورهم. والنَّزْعُ: الاسْتخراجُ والغِلُّ: الحِقْدُ الكامِنْ في الصَّدْرِ. والجَمْعُ غِلالٌ»(٢).

عَنِ النُعْمَانِ بْنِ بَشيرٍ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ والْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْبِهَاتٌ لا يَعْلَمُها كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتقىٰ الْمُشبَهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهاتِ كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً، ألا إنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ(٣) وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِي الْقَلْبُ**»(٤).

الحِقْـــدُ داءٌ لـــيسَ يحملُـــهُ ... إلا جهـولٌ ملـيٌّ الـنفسِ بالعِلَـلِ

مـالي وللحِقْـدِ يُـشْقِيني وأحمِلُـهُ ... إني إِذَنْ لَغَبِـيٌّ فاقِـدُ الحِيَـلِ

---

(١) جامِعُ البيانِ للطَّبَرِيِّ (١٢/ ٤٣٨).

(٢) الجامِعُ لأحكامِ القرآنِ للقُرْطُبِيِّ (٧/ ٢٠٨).

(٣) وجْهُ ذِكْرِ الحديثِ هنا أنَّ سلامَةَ القَلْبِ تعني خُلُوَّهُ من الحِقْدِ والحَسَدِ والبَغَضاءِ والرِّياءِ وغيرِها من كبائِرِ الباطِنِ.

(٤) البخاريُّ - الفَتْحُ (١/ ٥٢) واللفظُ لَهُ، ومسلمٌ (١٥٩٩).

حَالَةٌ يُحْمَدُ فيها الحِقْدُ!!

يُحْمَدُ الحقدُ في حالةٍ واحدةٍ علىٰ الكفارِ من اليهودِ والنَّصارىٰ وغيرِهم؛ حتىٰ يَدْخُلُوا في هذا الدينِ الحَقِّ ولا يَوَدُّهم قلبُ مؤمنٍ باللهِ واليومِ الآخِرِ.

قال اللهُ ﷻ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٤ - ١٥].

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**واللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاصُ فَلا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ والتَّبَاغُضُ والتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَ إِلَىٰ الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**»(١).

قَالَ الْأَشْرَفُ: «بِهَمَا تَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ والتَّبَاغُضُ والتَّحَاسُدُ يَوْمَئِذٍ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ يَكُونُونَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ الْإِسْلَامُ، وَأَعْلَىٰ أَسْبَابِ التَّبَاغُضِ وَأَكْثَرُهَا هُوَ اخْتِلَافُ الْأَدْيَانِ»(٢).

٥- الحَسَدُ(٣):

أَعْطَيْتُ كُلَّ الناسِ من نفسي الرِّضا ... إلا الحسودَ فَإِنَّهُ أَعْيَاني(٤)

---

(١) رواهُ مسلمٌ (١٥٥).

(٢) مَرقاةُ المفاتيحِ للقاريِّ (٨/ ٣٤٩٤).

(٣) انظر كتابي (الحَسَدُ خُلُقٌ ذميمٌ) تَجِدْ فيه ما يَشْفي ويَكْفي إنْ شاءَ اللهُ.

(٤)موارِدُ الظَّمْآنِ لدروسِ الزمانِ لعبدِ العزيزِ السَّلْمانِ (٤/ ٥٧٤). وبَعْدَهُ:

لا أَنَّ لي ذنبًا لديهِ عَلِمْتُهُ ... لا تَظَاهُرَ نعمةِ الرَّحْمَنِ

يَطوى على حَنَقٍ حَشَاهُ لِأَنْ رَأَى ... عندي كمالَ غِنَىً وفَضْلَ بَيَانِ

ما إِنْ أرى يُرْضِيهِ إلا ذِلَّتي ... وذهابُ أَموالي وقطعُ لِساني

والحَسَدُ وما أَدْراكَ ما الحَسَدُ! الحَسَدُ تمني زوالِ نعمةِالمَحْسُودِ إلىٰ الحاسِدِ[١].

والحَسَدُ غَيْرُ الغِبْطَةِ، قال الرازيُّ: «إذا أنعمَ اللهُ علىٰ أخيكَ بنعمةٍ؛ فَإِنْ أَرَدْتَ زوالَها فهذا هو الحَسَدُ، وإنْ اشْتَهَيْتَ لنفسِكَ مِثلَها فهذا هو الغِبْطَةُ»[٢].

وقد تُسَمَّىٰ الغِبْطَةُ حَسَدًا كما جاءَ في حديثِ عبدِ اللهِ بن مسعودٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا حَسَدَ إلا في اثنتينِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فَسُلِّطَ علىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بها وَيُعلِّمُها**»[٣]. وقد فَسَّر النوويُّ الحَسَدَ في الحديثِ فقال: «هو أَنْ يَتَمَنَّىٰ مِثْلَ النِّعمةِ التي علىٰ غيرِهِ من غيرِ زوالِها عن صاحِبِها»[٤].

والحَسَدُ من أَخَسِّ الأخلاقِ وأَرْذَلِها، مع إضرارِهِ بالبَدَنِ، وإفسادِهِ للدِّينِ، حتَّىٰ لقد أَمَرَ اللهُ بالاستعاذةِ من شَرِّهِ، فقال ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سورةُ الفَلَقِ].

قال الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ: «إنَّ اللهَ جَمَعَ الشرورَ في هذه الآيةِ وَخَتَمها بالحَسَدِ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَخَسُّ الطبائعِ»[٥].

وقال ابنُ عقيلٍ: «افتقدْتُ الأخلاقَ فإذا أَشَدُّها وبالًا علىٰ صاحِبِها الحَسَدُ؛ فَإِنَّه

---

(١) التعريفاتُ (٨٧).

(٢) «تفسير الرازيِّ» (٣/ ٦٤٦).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٧٣) ومسلمٌ (٣١٦).

(٤) شرحُ النوويِّ علىٰ مسلمٍ (٦/ ٩٧).

(٥) الكَشْفُ والبَيَانُ للثعلبيِّ (١٠/ ٣٤٠).

التأذِّي بما يَتَجَدَّدُ من نعمةِ اللهِ، فُكلَّما تَلَذَّذَ المَحْسُودُ بِنِعَمِ الله ﷻ تأذَّىٰ الحاسِدُ وَتَنغَّصَ، فهو ضِدٌّ لِفِعْلِ اللهِ ﷻ، ساخِطٌ بما قَسَمَهُ، مُتَمنٍّ زوالَ ما مَنَحَهُ خالِقُهُ، فمتىٰ يطيبُ بهذا عَيْشٌ ونِعَمٌ تَنْثَالُ انْثِيالًا؟»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩]، قال ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والآيةُ تَدُلُّ علىٰ تحريمِ الحَسَدِ؛ لأَنَّ مُشَابَهَةَ الكفارِ بأخلاقِهِمْ مُحَرَّمةٌ... والحاسِدُ لا يزدادُ بحَسَدِهِ إلا نارًا تَتَلظَّىٰ في جوفِهِ؛ وكلما ادادتْ نعمةُ اللهِ علىٰ عبادِهِ ازدادَ حَسْرَةً؛ فهو مع كونِهِ كارِهًا لنعمةِ اللهِ علىٰ هذا الغيرِ مضادٌّ للهِ في حُكْمِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يُنْعِمَ اللهُ علىٰ هذا المحسودِ؛ ثم إنَّ الحاسِدَ أو الحَسُودَ. مهما أعطاهُ اللهُ من نعمةٍ لا يرىٰ للهِ فَضْلًا فيها؛ لأَنَّهُ لابُدَّ أَنْ يرىٰ في غيرِهِ نعمةً أَكْثَرَ مِمَّا أنعمَ اللهُ بهِ عليهِ، فَيَحْتَقِرُ النِّعْمَةَ»(٢). عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوانًا**»(٣).

قال ابنُ بطالٍ: «وفيه: النهيُ عن الحَسَدِ علىٰ النِّعَمِ، وقد نهىٰ اللهُ عبادَهُ المؤمنين عن أَنْ يَتَمنَّوا ما فَضَّلَ اللهُ به بَعْضَهم علىٰ بعضٍ وأمرَهُم أَنْ يَسْأَلُوهُ من فَضْلِهِ»(٤).

الحَسَدُ لا يَقَعُ إلا بينَ ضُعَفَاءِ البصائِرِ:

١ - فهو يَقَعُ بينَ النِّساءِ، فَيَحْسَدُ بعضُهُنَّ بَعْضًا، وخاصةً المتزوجاتُ بزوجٍ واحِدٍ، إلا

---

(١) الآدابُ الشرعيةُ لابنِ مفلحٍ (١/ ١٠٣).

(٢) (تفسيرُ الفاتحةِ والبقرةِ) (١/ ٣٦٠).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٦٠٦٥)، ومسلمٌ (٢٥٥٨).

(٤) شرحُ صحيحِ البخاريِّ (٩/ ٢٥٨).

مَنْ عَصَمَ اللهُ ﷻ.

٢ - وَيَقعُ بين المُتَشَارِكينَ في رِئاسةٍ أو مالٍ.

٣ - ويقَعُ بين النُّظَراءِ والزُّملاءِ، كَحَسَدِ ابْنَيْ آدَمَ، فقد حَسَدَ القاتِلُ المقتولَ فَقَتَلَهُ[١].

٤ - ويقعُ بين الأقارِبِ والجيرانِ بسببِ كَثْرَةِ الخُلْطَةِ.

علاجُ الحَسَدِ:

ما مِنْ شَكٍّ أن الحَسَدَ موجودٌ في كُلِّ أَحَدٍ فَمَنْ كَرِهَ ذلك من نفسِهِ ولم يَصْدُرْ منه ما يسيءُ للمَحْسُودِ من قولٍ أو فعلٍ مع كراهتِهِ؛ فهذا مأجورٌ - إنْ شاءَ اللهُ - فإنْ تَرَكَ نُصْرَةَ المَحْسُودِ في موطِنٍ تُنْتَهَكُ فيه من حرمَتِهِ فقد قَصَّرَ في بعضِ الحَقِّ وإنْ حَصَلَ من نفسِهِ الرِّضَىٰ فقد رَضِيَ لنفسِهِ بالحَسَدِ، قال ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ: «مَا خلا جَسَدٌ من حَسَدٍ لَكِنْ اللَّئِيمَ يُبْدِيْهِ والكريمَ يُخْفِيْهِ وَقَدْ قِيْلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَيَحْسَدُ الْمُؤمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أنساكَ إِخْوةَ يُوسُفَ لَا أَبَا لَكَ وَلَكِنْ عَمِّهِ فِي صدرِكَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لم تُعْدِ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفسِهِ حسدًا لغيرِهِ فَعلَيهِ أَنْ يسْتَعْملَ مَعَه التَّقْوَىٰ وَالصَّبْرَ فَيكْرَهُ ذَلِكَ مِنْ نَفسِهِ، وَكثيرٌ من النَّاسِ عِنْدَهم دِيْنٌ لَا يَعْتَدُونَ عَلَىٰ الْمَحْسُودِ فَلَا يُعِيْنُونَ مَنْ ظَلَمَهُ وَلَكنَّهُمْ أَيْضًا لَا يقومُونَ بِمَا يَجِبُ من حَقِّهِ بل إذا ذَمَّهُ أَحَدٌ لم يوافِقُوه علىٰ ذَمِّهِ وَلَا يذكرُونَ مَحَامِدَهُ وَكَذَلِكَ لَو مَدَحَهُ أَحَدٌ لَسَكَتُوا وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ مُفَرِّطُون فِي ذَلِكَ لَا مُعْتَدون عَلَيْهِ وجزاؤُهم أَنَّهُمْ يُبْخَسُون حُقُوقَهم فَلَا يُنْصَفُون أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ وَلَا يُنْصرُونَ علىٰ مَنْ ظَلَمَهُمْ كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ»[٢].

---

(١) انظر سلامةَ الصَّدْرِ للقَحْطانيِّ (١٥).

(٢) أمراض القُلُوبِ لابنِ تَيْمِيَةَ (٢٢).

الأسبابُ التي يُدفَعُ بها شَرُّ الحاسِدِ:

هي عَشَرَةُ أسبابٍ ذَكَرَها ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

١- التَّعَوُّذُ باللهِ من شَرِّهِ.

٢- تقوىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والصبرُ علىٰ الحاسِدِ.

٣- لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَذَاهُ.

٤- التوكُّلُ علىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥- يُفْرِغُ قَلْبَهُ من التفكُّرِ فيه والاشْتِغالِ بِهِ.

٦- الإِقبالُ علىٰ اللهِ والإخلاصُ له.

٧- تجريدُ التَّوْبَةِ من الذنوبِ.

٨- الصَّدَقَةُ والإِحْسَانُ.

٩- إِطفاءُ نارِ الحاسِدِ بالإِحسانِ إليه والدُّعاءِ له، وهذا من أَصْعَبِ الأشياءِ علىٰ النفوسِ.

١٠- السَّبَبُ الأعظمُ تجريدُ التَّوحيدِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[١].

٦- الغِيْبَةُ:

اِحْفَظْ لِسانَكَ لا تَلْفُظْ بنابيَةٍ ... نِتاجُها الحِقْدُ والبَغْضَاءُ وَالسَّقَمُ

الغِيْبَةُ وما أدراكَ ما الغيبةُ! الغيبةُ «هي ذِكْرُ العَيْبِ بِظَهْرِ الغَيْبِ بِلْفظٍ أو إِشارةٍ أو محاكاةٍ»[٢]. فما أَشْنَعَها من خصلةٍ تَعْمَلُ علىٰ سَخْنِ الصدورِ بالحقِد والحسدِ والكراهيةِ

(١) التفسيرُ القَيِّمُ لابن القيِّم (٦٤٧ - ٦٥٥) باختصار.

(٢) فيضُ القديرِ شرحُ الجامِعِ الصغيرِ لزينِ الدينِ المناويِّ (٣/ ١٦٦).

والبغضاءِ، ومَلْءِ القلوبِ بالضغائِنِ والعداواتِ فلا تعودُ صافيةً كما كانتْ فباللهِ عليكَ طَلِّقْها ثلاثًا لَا رَجْعَةَ بعدَها.

حُكْمُ الغِيْبَةِ:

عَدَّ الإمامُ ابنُ حَجَرٍ الغِيْبَةَ من الكبائِرِ وقالَ: الَّذي دَلَّتْ عليه الدَّلائِلُ الكثيرةُ الصَّحيحةُ الظَّاهرةُ أنَّها كبيرةٌ: لكنَّها تَخْتَلِفُ عِظَمًا وضِدَّهُ بِحَسَبِ اخْتلافِ مَفْسَدَتِها(١).

ذَمُّ الغِيْبَةِ:

ذَمَّ اللهُ الغِيْبَةَ فِي كتابِهِ الكريم أعظمَ الذَّمِّ فقالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُراتُ:١٢].

قال الشوكانيُّ: فهذا نهيٌ قرآنِيٌّ عن الغيبةِ مع إيرادِ مَثَلٍ لذلكَ يزيدُهُ شِدَّةً وَتَغْليظًا، ويُوقِعُ في النفوسِ من الكراهةِ والاسْتِقْذَارِ لما فيه ما لا يُقادَرُ قَدْرُهُ، فَإِنَّ أَكْلَ لَحْمِ الإنسانِ من أَعْظَمِ ما يَسْتَقْذِرُهُ بنو آدَمَ جَبَلَةً وطَبْعًا، ولو كانَ كافرًا أو عَدُوًّا مُكافِحًا، فكيفَ إذا كانَ أَخًا في النَّسَبِ أو في الدينِ؟ فَإِنَّ الكراهَةَ تَتَضَاعَفُ بِذَلِكَ، ويزدادُ الاستقذارُ فكيفَ إذا كانَ مَيْتًا؟! فَإِنَّ لَحْمَ ما يُستطابُ ويَحِلُّ أَكْلُهُ يصيرُ مُسْتَقْذَرًا بالموتِ، لا يَشْتَهِيْهِ الطَّبْعُ، ولا تَقْبَلُهُ النفسُ، وبهذا يُعْرَفُ ما في هذهِ الآية من المبالَغَةِ في تحريمِ الغِيْبَةِ، بعد النهي الصريحِ عن ذلكَ(٢).

وعن عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ للنبيِّ ﷺ: حَسْبُكَ من صفيَّةَ كذا وكذا، فقال ﷺ:

---

(١) الزواجِرُ (٣٧١).

(٢) الفتح الربانيُّ للشوكانيِّ (١١/ ٥٥٦٧ – ٥٥٦٨).

«لقد قُلْتِ كَلِمَةً لو مُزِجَتْ بماءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»(١).

قال النوويُّ: «هذا الحديثُ من أعظمِ الزواجِرِ عن الغيبةِ أو أَعْظَمِها وما أَعْلَمُ شيئًا من الأحاديثِ بَلَغَ في ذمِّها هذا المَبْلَغَ»(٢).

وقال ابنُ عثيمينَ: «ومعنىٰ: مَزَجَتْهُ خالَطَتْهُ مُخالطةً يَتَغَيَّرُ بها طَعْمُهُ، أو رِيْحُهُ لِشِدَّةِ نَتَنِها وقُبْحِها، وهذا من أَبْلَغِ الزواجِرِ عن الغيبةِ»(٣).

حُكْمُ سماعِ الغِيْبَةِ:

فالسامِعُ الذَمِّ شَرِيْكٌ له ... ومُطْعِمُ المأْكُولِ كالآكِلِ

باللهِ عليكَ لا تُعِرْ أُذُنَكَ لِمَنْ يغتابُ النَّاسَ وَيَقعُ فِي أَعْراضِهم فَإِنَّ المُسْتَمِعَ شريكُ القائِلِ إِذَا رَضِيَ ولَمْ يُنْكِرْ بِقَلْبِهِ ولِسَانِهِ أو بمفارقةِ المَجْلِسِ فعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أخيه رَدَّ اللهُ عن وَجْهِهِ النَّارَ يومَ القيامةِ**»(٤).

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبغي لِمَنْ سَمِعَ غِيْبَةَ مُسْلِمٍ أَنْ يَرُدَّهَا ويَزْجُرَ قائِلَها، فَإِنْ لَمْ يَنْزَجِرْ بالكلامِ زَجَرَهُ بيدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ باليَدِ ولا باللِّسانِ، فارَقَ ذلكَ المَجْلِسَ، فَإِنْ سَمِعَ غِيْبَةَ شَيْخِهِ أو غَيرِهِ مِمَّنْ له عليه حَقٌّ، أو كانَ من أهلِ الفَضْلِ والصَّلاحِ، كان الاعْتناءُ بما ذَكَرْناهُ أَكْثَرَ»(٥).

---

(١) رواهُ أبو داودَ (٤٨٧٥) واللفظُ له، والترمذيُّ (٢٥٠٢). وصحَّحَهُ السُّيوطِيُّ في «الجامعِ الصَّغيرِ» (٢/ ٢٦٤) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ التَّرغِيبِ» (٢٨٣٤).

(٢) فيضُ القديرِ للمناويِّ (٢/ ٤١١).

(٣) شرحُ رياض الصالحين لابنِ عُثَيمينَ (١/ ١٢٦)

(٤) رواهُ الترمذيُّ (١٩٣١)، وأحمدُ (١/ ٤٥٠) (٣٧٥٨٣). وَحَسَّنَهث الترمذيُّ، وصحَّحَهُ لغيرِهِ الألبانيُّ في «صحيحِ الترغيبِ» (٢٨٤٨).

(٥) الأذكارُ للنوويِّ (٢٠٤).

وَسَـمْعَكَ صُـنْ عَـنْ سَـمَاعِ القبـيحِ كـصونِ اللـسانِ عـن القـولِ بِـهْ
فَإِنَّـكَ عنـد اسـتماعِ القبـيحِ شَـرِيكٌ لقائِلِـهِ فانْتَبِـهْ

حالاتٌ يجوزُ فيها الغِيْبَةُ وهي سِتُّ حالاتٍ:

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ الغِيبةَ تُباحُ لِغَرَضٍ صحيحٍ شَرْعيٍّ لا يُمْكِنُ الوصولُ إليه إِلَّا بِها، وهو سِتَّةُ أسبابٍ:

الأَوَّلُ: المُتَظَلِّمُ، فيجوزُ للمظلومِ أَنْ يتظلَّم إلىٰ السُّلطانِ والقاضي وغيرِهما مِمَّنْ له ولايةٌ، أو قُدْرَةٌ علىٰ إنصافِهِ من ظالِمِهِ، فيقولُ: ظَلَمَني فلانٌ بِكَذَا.

الثَّاني: الاستعانةُ علىٰ تغييرِ المُنْكَرِ، وَردِّ العاصِي إلىٰ الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ علىٰ إِزالةِ المُنْكَرِ: فلانٌ يَعْمَلُ كَذَا، فازْجُرْه عَنْهُ ونحوَ ذلكَ، ويكونُ مقصودُهُ التَّوصُّلُ إِلىٰ إزالةِ المُنْكَرِ، فَإِنْ لم يَقْصُدْ ذلك كان حرامًا.

الثَّالث: الاسْتِفْتاءُ، فيقولُ للمُفْتِي: ظَلَمَني أبي، أو أخِي، أو زَوجِي، أو فلانٌ بِكذا، فَهَلْ لَهُ ذلكَ؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيلُ حَقِّي، ودَفْعُ الظُّلْمِ؟ ونَحْوَ ذَلِكَ، فهذا جائِزٌ للحاجَةِ، ولكنَّ الأحوطَ والأَفْضَلَ أنْ يقولَ: ما تقولُ في رَجُلٍ أو شَخْصٍ، أو زوجٍ، كانَ مِنْ أمرِهِ كذا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ به الغَرَضُ من غيرِ تَعْيِيْنٍ، ومع ذلك، فالتَّعيينُ جائزٌ.

الرَّابعُ: تحذيرُ المسلمين من الشَّرِّ ونصيحتُهم.

وذلك من وُجوهٍ:

منها: جَرْحُ المَجْروحينَ من الرُّواةِ والشُّهُودِ، وذلك جائِزٌ بِإجماعِ المُسْلمين، بل واجبٌ للحاجَةِ.

ومنها: المشاورةُ في مصاهرةِ إنسانٍ، أو مشاركَتِهِ، إو إيداعِهِ، أو معاملتِهِ، أو غيرِ ذلك، أو مجاورتِهِ، ويجبُ علىٰ المُشَاوَرِ أَنْ لا يُخْفِي حالَهُ، بل يَذْكُرُ المساوِئَ الَّتي فيه بنيَّةِ النَّصيحةِ.

ومنها: إذا رأىٰ مُتَفَقِّهًا يتردَّدُ إلىٰ مُبْتَدِعٍ، أو فاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخافَ أَنْ يتضرَّرَ المُتَفَقِّهُ بذلكَ، فعليه نصيحتُهُ ببيانِ حالِهِ، بشَرْطِ أَنْ يَقْصُدَ النَّصيحةَ، وهذا مِمَّا يُغْلَطُ فيه. وقد يَحْمِلُ المتكلِّمُ بذلك الحَسَدَ، ويُلَبِّسُ الشَّيطانُ عليهِ ذلك، ويُخَيَّلُ إليهِ أنَّه نصيحةٌ فَليُفْطَنْ لذلكَ.

ومنها: أَنْ يكونَ له ولايةٌ لا يقومُ بها علىٰ وجْهِها: إِمَّا بأَنْ لا يكونَ صالِحًا لها، وإِمَّا بِأَنْ يكونَ فاسقًا، أو مُغَفَّلًا، ونحوَ ذلك فيَجِبُ ذِكْرُ ذلكَ لِمَنْ عليهِ ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزِيْلُهُ، ويُوَلِّيَ مَنْ يَصْلُحُ، أو يعلمُ ذلك منه، ليعامِلَهُ بِمُقْتَضىٰ حالِهِ، ولا يَغْتَرَّ بِهِ، وَأَنْ يَسْعَىٰ في أَنْ يحُثَّهُ علىٰ الاستقامةِ أو يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

الخامِسُ: أَنْ يكونَ مُجاهِرًا بِفِسْقِهِ أو بِدْعَتِهِ كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ، وجِبايةِ الأموالِ ظُلْمًا، وتولِّي الأمورِ الباطِلَةِ، فيجوزُ ذكرُهُ بما يجاهِرُ بِهِ، ويَحْرُمُ ذكرُهُ بغيرِهِ من العيوبِ، إلَّا أَنْ يكونَ لجوازِهِ سَبَبٌ آخرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

السَّادِسُ: التَّعريفُ، فإذا كان الإنسانُ معروفًا بِلَقَبٍ، كالأَعْمَشِ والأَعْرَجِ والأصَمِّ، والأَعْمَىٰ، والأَحْوَلِ، وغيرِهم جازَ تعريفُهم بذلك، ويَحْرُمُ إطلاقُهُ علىٰ جِهَةِ النَّقْصِ، ولو أَمْكَنَ تعريفُهُ بغيرِ ذلك كان أَوْلَىٰ.

فهذِهِ سِتَّةُ أسبابٍ ذَكَرَها العلماءُ وَأَكْثَرُها مُجْمَعٌ عليه، ولائِلُها من الأحاديثِ الصَّحيحةِ مشهورةٌ[1].

---

(١) انظر: رياض الصالحين (٤٥٠ - ٤٥١)، والزواجِرَ لابنِ حَجَرٍ الهيثميِّ (٣٨٣ - ٣٨٤).

ونَظَمها بعضُهم بقولِهِ:

الـــذمُّ لـــيسَ بِغِيْبَـــةٍ فِـــي سِـــتَّةٍ مُـــتَظَلِّمٍ ومُعَـــرِّفٍ ومُحَـــذِّرِ
ولِمُظْهِـــرٍ فِـــسْقًا ومُـــسْتَفْتٍ ومَـــنْ طَلَـــبَ الإعانـــةَ في إزالـــةِ مُنْكَـــرِ[1]

وختامًا:

اعلم أنه من وقع فيك بالغيبة فهون عليك الخطب، فإنما هي حسنات تصلك لم تتعب فيها وسيئات تذهب منك لمن وقع فيك فمن الذي ربح البيع؟!

قَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

لَا تَكْـرَهِ المُغْتَـابَ واشْـكُرْ فَـضْلَهُ فلقـــد حبـــاك لِجَهْلِـــهِ حَـــسَناتِهِ
كـــم مِـــنْ أجـــورٍ لـــم تَفُـــزْ بنوالِهـــا فَوَجَـــدْتَها تنهـــالُ مِـــنْ كِلِمَاتِـــهِ

٧- النَّمِيْمَةُ:

مَنْ نَمَّ في النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عقارِبُهُ علىٰ الصديقِ ولَمْ تُؤْمَنْ أَفاعِيْهِ[2].

النميمةُ وما أدراكَ ما النَّميمةُ! النميمةُ هي: «نَقْلُ الحديثِ من قومٍ إلىٰ قومٍ علىٰ جِهَةِ الإفْسادِ والشَّرِّ»[3]. فَاقْبِحْ بها من خَصْلَةٍ من الخِصَالِ الذَّميمةِ تَدُلُّ علىٰ نَفْسٍ سقيمةٍ وطبيعةٍ لئيمةٍ تُفْسِدُ الدِّيْنَ والدنيا، وتغِّيرُ القلوبَ، وتُوَلِّدُ البَغْضَاءَ، وسَفْكَ الدماءِ، والشَّتاتَ»[4].

---

(١) سُبُلُ السلامِ لابنِ الأميرِ الصنعانيِّ (٤/ ١٩٤).

(٢) المُحاضراتُ والمحاوراتُ (٤٢١) (

(٣) لسانُ العَرَبِ لابنِ منظورٍ (١٢/ ٥٩٢)، النهاية لابنِ الأثيرِ (٥/ ٢٥٦).

(٤) بَحْرُ الدموعِ لابنِ الجوزيِّ (ص:١٢٩).

وحُكْمُها التحريمُ في الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، بل من كبائِرِ الذنوبِ.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم:١٠ - ١٣].

مَشَّاءٍ بنميمٍ: أي كثيرُ المَشْيِ بالنميمةِ بينَ الناسِ، وبما يُفْسِدُ مَعِيْشَتَهُمْ، ويَقْطَعُ صِلاتِهِمْ، ويُذْهِبُ مَحَبَّتَهُمْ، ويُسْخِنُ صُدُوْرَهُمْ ويُضْرِمُ نارَ العداوةِ بينَهم.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهُمَزَةُ:١].

«الهُمَزَةُ» هو النَّمَامُ الذي يَنُمُّ الكلامَ إلىٰ النَّاسِ تَوَعَّدَهُ اللهُ بالعذابِ، وعن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»، وفي روايةٍ «**قَتَّاتٌ**»(١).

قال ابنُ بطالٍ: «قال أهلُ التَّأويلِ: الهمَّازُ الذي يَأْكُلُ لُحومَ النَّاسِ، ويُقالُ: هُمُ المشَّاؤونَ بالنميمةِ المُفَرِّقُونَ بينَ الأَحَبَّةِ، الباغونَ للبَرَاءِ العَنَتِ. والقَتَّاتُ: النمامُ عند أهلِ اللُّغَةِ»(٢).

وقال العلامةُ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عن النميمةِ: «وهي من الكبائِرِ ومن أسبابِ البَغْضَاءِ والشَّحْناءِ بينَ المسلمين، فالواجِبُ الحَذَرُ منها»(٣).

وقال ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنميمةُ من كبائِرِ الذنوبِ، وهي سببٌ لعذابِ القَبْرِ، ومن أسبابِ حرمانِ دخولِ الجَنَّةِ»(٤).

---

(١) رواهُ مسلمٌ (١٠٥).

(٢) «شرحُ صحيح البخاريِّ» لابنِ بَطالٍ (٩/ ٢٤٩).

(٣) «فتاوىٰ نورٌ علىٰ الدربِ لابنِ بازٍ» جَمْعُ: محمدِ الشويعِرِ (١٤/ ١٢٥).

(٤) «مجموعُ فتاوىٰ ورسائِلِ العثمين» جمعُ وترتيبُ: فهدُ السليمانُ (٩/ ٥٢٤).

تَـــنَحَّ عـــن النميمـــةِ واجْتَنِبْهـــا فـــإِنَّ الـــنَّمَّ يُحْـــبِطُ كُـــلَّ أَجْـــرِ
يثيـــرُ أخـــو النميمـــةِ كُـــلَّ شَـــرٍّ وَيَكْـــشِفُ للخلائِـــقِ كُـــلَّ سِـــرٍّ
ويَقْتُـــلُ نَفْـــسَهُ وســـواهُ ظُلْمًـــا ولـــيسَ الـــنَّمُّ مـــن أَفعـــالِ حُـــرٍّ(١)

موقِفُ مَنْ حُمِلَتْ إليهِ النميمةُ:

ولا تَقْـــبَلَنْ فيمـــا رَضِـــيْتَ نميمـــةً وقُـــلْ للـــذي يأتيـــكَ يَحْمِلُهـــا مَهْـــلا

السَّاعي بالنميمةِ تَلْعَنُهُ القلوبُ وتَمُجُّهُ النفوسُ علىٰ وجْهِهِ أَمارةُ الخُذْلانِ فَحَرِيٌّ بِمَنْ رآهُ يفتحُ فاه بالنميمةِ أَنْ يَزْجُرَهُ ويَمْقَتَهُ للهِ ولا يَقْبَلَ له قولًا فقد قِيْلَ: مَنْ سَعَىٰ بالنميمةِ حَذِرَهُ الغريبُ ومَقَتَهُ القريبُ.

قال العلماءُ: «وكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إليه النميمةُ وقِيْلَ له: إِنَّ فُلانًا قال فيكَ كذا وكذا، أو فَعَلَ في حَقِّكَ كذا، أو هو يُدَبِّرُ في إفسادِ أَمْرِكَ، أو في ممالاةِ عَدُوِّكَ أو تقبيحِ حالِكَ، أو ما يَجْرِي مَجْراهُ، فعليه سِتَّةُ أُمورٍ:

الأَوَّلُ: أَنْ لا يُصَدِّقَه؛ لأَنَّ النمامَ فاسِقٌ، وهو مَرْدُودُ الشهادةِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحُجُراتُ:٦].

الثَّاني: أَنْ يَنْهاهُ عن ذلك وَينْصَحَ لَهُ، ويُقَبِّحَ عليه فِعْلَهُ، قال اللهُ ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان:١٧].

الثالثُ: أَنْ يَبْغَضَهُ في اللهِ ﷻ فإِنَّه بَغِيْضٌ عند اللهِ ﷻ ويَجِبُ بُغْضُ مَنْ يَبْغَضُهُ اللهُ ﷻ.

---

(١) موسوعةُ الشِّعْر (١/ ١٥٦).

الرابعُ: أَنْ لا تَظُنَّ بأخيكَ الغائِبِ السُّوءَ لقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجُراتُ:١٢].

الخامسُ: أَنْ لا يَحْمِلَكَ ما حُكِيَ علىٰ التَّجَسُّسِ والبَحْثِ لِتَتَحَقَّقَ اتباعًا لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجُراتُ:١٢].

السادسُ: أَنْ لا ترضَىٰ لنفسِكَ ما نَهَيْتَ النمامَ عنه ولا تَحْكِيَ نميمَتَهُ؛ فتقولَ: فلانٌ قد حَكَىٰ لي كذا وكذا، فتكونَ به نَمَّامًا ومُغْتابًا، وقد تكونُ قد أتيتَ ما عَنْه نَهَيْتَ»[(١)].

فإياكَ إياكَ وقبولَ النميمةِ فإنَّ مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ عليكَ[(٢)].

لا تَقْبَلَنَّ نميمةً بُلِّغْتَها ... وتَحَفَّظَنَّ مِن الذي أَنْباكَها

إِنَّ الذي أهدى إليكَ نميمةً ... سَيَنُمُّ عنكَ بمِثْلِها قد حاكَها[(٣)]

وقال أُسْتَاذُنا - حفظه الله -:

لو كلُّ من حُمِلَتْ إليه بنميمةٌ ... ألقى عليها سَبَّةً وشِتامًا

وهوى بصاحِبها وحطم رأسَهُ ... لم تلق فرق أديمها نمَّامَا

٨- سُوْءُ الظَّنِّ:

وبابُ انشراحِ الصدرِ إحسانُ ظِنِّنا ... ولكنَّ سوءَ الظَّنِّ للبابِ يوصيدُ

سوءُ الظَّنِّ «هو التُّهْمَةُ والتَّخَوَّنُ للأهْلِ والأقارِبِ والناسِ في غيرِ مَحَلِّهِ»[(٤)] فما

---

(١) موسوعةُ الأخلاقِ (٣/ ٢٥٠).

(٢) ربيعُ الأبرارِ (٤/ ١٤٩).

(٣) من رحيقِ الشعرِ (٢٥٩).

(٤) تفسيرُ القرآن العظيمِ، ابنُ كثيرٍ (٧/ ٣٧٧).

يزالُ سُوءُ ظَنِّ المَرْءِ بِمَنْ ظاهِرُهُ العدالَةُ يَتَلَجْلَجُ في صدرِهِ حتىٰ تَخْرُجَ منه كلمةٌ ما كانَ لها أَنْ تَخْرُجَ لكنْ كما قِيْلَ: كُلُّ إناءٍ بما فيهِ يَنْضَحُ؛ ولا تَسْأَلْ عن حالِ القُلُوبِ بعدَ ذلكَ، مع ما يَلْحِقُ صاحِبَها من مَعَرَّةِ الإثْمِ لِمَكَانِ المُخَالَفَةِ فقد نَهَىٰ اللهُ عن سُوْءِ الظَّنِّ بِمَنْ ظاهِرُهُ العدالَةُ من المسلمين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُراتُ:١٢].

قال السَّعْدِيُّ: «نهىٰ الله - تعالىٰ - عن كثيرٍ مِن الظنِّ السُّوءِ بالمؤمنين، فـ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وذلك، كالظَّنِّ الخالي من الحقيقةِ والقَرِينَةِ، وكَظَنِّ السُّوءِ، الذي يَقْتَرِنُ به كثيرٌ من الأقوالِ، والأفعالِ المُحَرَّمةِ، فإنَّ بقاءَ ظَنِّ السُّوءِ بالقَلْبِ، لا يَقْتَصِرُ صاحِبُهُ علىٰ مُجَرَّدِ ذلك، بل لا يزالُ به، حتىٰ يقولَ ما لا يَنْبغِي، ويفعلَ ما لا يَنْبَغِي، وفي ذلك أيضًا، إساءةُ الظَّنِّ بالمُسْلِمِ، وبُغْضُهُ، وعداوتُهُ المأمورِ بِخَلافِ ذلكَ منه»(١).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «**إِيَّاكم والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديثِ**»(٢).

ما يُسْتَثْنَىٰ من الظَّنِّ الحَسَنِ:

يُسْتَثْنىٰ من حُسْنِ الظَّنِّ الكافِرُ والفاسِقُ سِيَّما مَنْ اشتُهِرَ بمُخَالَطَةِ الرَّيْبِ والمُجَاهِرُ بالمعاصي وأمَّا العَدُوُّ فَيُسْتَحَبُّ سُوءُ الظَّنِّ به ولو أسيرًا.

قال ابنُ عثيمين: «يُحْرَمُ سوءُ الظَّنِّ بمسلمٍ، أَمَّا الكافِرُ فلا يَحْرُمُ سوءُ الظَّنِّ فيه؛

---

(١) تيسيرُ الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنانِ للسَّعْدِيِّ (١/ ٨٠١).

(٢)رواهُ البخاريُّ (٥١٤٣)، ومسلمٌ (٢٥٦٣).

لأَنَّهُ أهلٌ لذلكَ، وأَمَّا مَنْ عُرِفَ بالفُسُوقِ والفُجورِ، فلا حَرَجَ أَنْ نُسِيءَ الظَّنَّ به؛ لأَنَّهُ أهلٌ لذلك، ومع هذا لا ينبغي للإنسانِ أَنْ يَتَتَبَّعَ عوراتِ النَّاسِ، ويَبْحَثُ عنه؛ لأَنَّهُ قد يكونُ مُتَجَسِّسًا بهذا العَملِ»(١).

وما كانَ بينَ الإنسان وعدوِّه، قال ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يُسْتَحَبُّ من سوءِ الظَّنِّ.. كَمَنْ بينَهُ وبينَهُ عداوةٌ أو شَحْنَاءُ في دِيْنٍ أو دنيا يَخافُ علىٰ نفسِهِ مَكْرَهُ فحينئذٍ يَلْزَمُهُ سوءُ الظَّنِّ بمكائِدِهِ ومَكْرِهِ لِئَلَّا يصادِفَهُ علىٰ غِرَّةٍ بِمَكْرِهِ فَيُهْلِكَهُ»(٢).

وحُسْنُ الظَّنِّ يَحْسُنُ في أمورٍ ... ويُمْكِنُ في عواقِبِهِ نَدَامَةْ

وسوءُ الظَّنِّ يَسْمُجُ في وجوهٍ ... وفِيْهِ من سماجَتِهِ حَزَامَةْ

ما يعينُ علىٰ تَرْكِ سُوْءِ الظَّنِّ:

١ - تَرْكُ التَّحَقُّقِ من الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُراتُ:١٢].

حَذَّرَ اللهُ من كثيرٍ من الظَّنِّ وأَخْبَرَ أَنَّ منه إِثْمًا وما كان إِثْمًا فلا يجوزُ التَّحَقُّقُ منه بالتَّجَسُّسِ والغِيبةِ؛ لِأَنَّهما من ثمارِ سُوْءِ الظَّنِّ.

٢ - أَنْ يَتَأَوَّلَ ما ظاهِرُهُ السُّوءُ وأَنْ يَجِدَ له مَخْرجًا:

قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يَحِلُّ لامرِيءٍ مسلمٍ سَمِعَ من أخيهِ كلمةً أَنْ يَظُنَّ

(١) الشرحُ الممتعُ علىٰ زادِ المستقنِعِ لابنِ عثمينَ (٥/ ٣٠٠).

(٢) روضةُ العُقَلَاءِ ونزَهةُ الفُضَلاءِ لأبي حاتِمِ البُستيِّ (١/ ١٢٧).

بها سُوءًا، وهو يَجِدُ لها في شَيْءٍ من الخيرِ مَخْرَجًا»[١].

٣ - عَدَمُ مُصَاحَبَةِ مَنْ ابْتُلِيَ بإساءَةِ الظَّنِّ:

قال ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجِبُ علىٰ العاقِلِ أَنْ يَجْتَنِبَ أَهْلَ الرَّيْبِ لِئَلَّا يكونَ مُرِيْبًا؛ فكما أَنَّ صُحْبَةَ الأخيارِ تُورِثُ الخَيْرَ كذلك صُحْبَةُ الأَشرارِ تُوْرِثُ الشَّرَّ»[٢].

٤ - البُعْدُ عن مواطِنِ التُّهَمِ والرَّيْبِ:

عن صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كانَ رسولُ الله - ﷺ - مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ ليلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فانْقَلَبْتُ، فقامَ معي لِيَقْلِبَني، وكانَ مَسْكَنُها في دارِ أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلانِ من الأنصارِ، فلمَّا رَأَيا النبيَّ ﷺ أَسْرَعا، فقال النبيُّ ﷺ: «**علىٰ رِسْلِكُما إِنَّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» فقالا: سبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ قال: «**إِنَّ الشيطانَ يجري من الإِنسانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وإِني خَشِيْتُ أَنْ يَقْذِفَ في قلوبكما سوءًا، أو قال: شَيْئًا**»»[٣].

قال ابنُ بطالٍ: «في قولِ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّها صَفِيَّةُ**» السُّنَّةُ الحَسَنَةُ لِأُمَّتِهِ، أَنْ يَتَمَثَّلوا فِعْلَهُ ذلك في البُعْدِ عن التُّهَمِ ومواقِفِ الرَّيْبِ»[٤].

قال النوويُّ: فيه استحبابُ التَّحَرُّزِ من التعرُّضِ لِسُوءِ ظَنِّ النَّاسِ في الإنسانِ وطَلَبُ السلامةِ والاعتذارُ بالأعذارِ الصحيحةِ وأَنَّهُ متىٰ فَعَلَ ما قد يُنْكَرُ ظاهِرُهُ مِمَّا هو حَقٌّ وقد يَخْفَىٰ أَنْ يَبِيْنَ حالُهُ لِيَدْفَعَ ظَنَّ السُّوءِ»[٥].

---

(١) ذكرهُ ابنُ عبدِ البرِّ في التمهيد (١٨/ ٢٠).

(٢) روضةُ العُقلاءِ ونزَهةُ الفُضَلاءِ لأبي حاتمٍ البُستيِّ (١/ ١٠٠).

(٣)رواهُ البخاريُّ (٣٢٨١)، ومسلمٌ (٢١٧٥).

(٤) شرحُ صحيح البخاريُّ لابنِ بطالٍ (٤/ ١٧٥).

(٥) المِنْهاجُ شرحُ صحيح مسلمِ بنِ الحجاجِ للنوويِّ (١٤/ ١٥٦ - ١٥٧).

ويَعْظُمُ التَّحَرُّزُ إذا كان بين فُسَّاقٍ، عديمي المروَءةِ، ناقِصِي الرجولةِ فإنَّ ظنونَهُمْ بغيرِهم ناتِجٌ من سوءِ أفعالِهم كما قيل:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ ... وصَدَّقَ ما يعتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وعَادَى مُحِبِّيهِ بقولٍ عِدَائِهِ ... وأصبحَ في ليلٍ من الشَّكِّ مُظْلِمِ[1]

٩ - الخُصُوْمَةُ:

ولَقَدْ أَخَذْتُ الحَقَّ غيرَ مُخاصِمٍ ... ولقد بذلتُ الحَقَّ غيرَ مُلاحِ[2]

الخصومةُ تُعْرَفُ بأَنَّها: لُجاجٌ في الكلامِ؛ لِيَسْتَوْفِيَ به مَقْصُودَهُ من مالٍ أو غيرِهِ.

لكنَّها تَمْحَقُ الدِّيْنَ، وتُنْبِتُ الشَّحناءَ في صدورِ الرجالِ[3].

فعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرجالِ إلىٰ اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**»[4].

والألدُّ: الخَصِمُ شديدُ الخصومةِ، مأخوذٌ من لَدِيْدَيِ الوادي وهما جانِباهُ؛ لأَنَّهُ كُلَّما احْتُجَّ عليه بِحُجَّةٍ أَخَذَ في جانِبٍ آخَرَ[5].

والخَصِمُ الذي يَخْصِمُ أقرانَهُ ويُحَاجُّهم بالباطِلِ، ولا يقبلُ الحَقَّ[6]. قال بعضُهم: ما رأيْتُ شيئًا أذْهَبَ للدينِ، ولا أَنْقَصَ للمروءةِ، ولا أَضْيَعَ لِلَّذَّةِ، ولا أَثْقَلَ

---

(١) العُزْلَةُ للخطابيِّ (١/ ٣١).

(٢) الأشباهُ والنظائِرُ (٥٩).

(٣) بهجةُ المجالِسِ (٢/ ٤٢٩).

(٤) رواهُ البخاريُّ (٧١٨٨)، ومسلمٌ (٢٦٦٨).

(٥) تعليقُ الشيخِ محمد فؤاد عبد الباقي علىٰ صحيحِ مسلمٍ نقلًا عن النوويِّ، (٤/ ٢٠٥٤).

(٦) انظر: جامعَ الأصولِ لابنِ الأثيرِ (٢/ ٧٥٢)، وفتحَ الباري (١٣/ ١٨١).

للقلبِ من الخصومةِ.[١] فإنْ قُلْتَ: لابُدَّ للإنسانِ من الخصومةِ؛ لاستبقاءِ حقوقِهِ فالواجِبُ ما أجابَ به العلماءُ: أَنَّ الذَّمَّ المُتَأَكِّدَ إنما هو لِمَنْ خاصَمَ بالباطِلِ أو بغيرِ عِلْمٍ، كوكيلِ القاضي؛ فإنَّه يتوكَّلُ في الخصومةِ قبلَ أَنْ يعرِفَ الحَقَّ في أَيِّ جانبٍ هو فيخاصِمُ بغيرِ علمٍ[٢] ويَدْخُلُ في الذَّمِّ أيضًا مَنْ يَطْلُبُ حَقَّهُ، لكنَّه لا يَقْتَصِرُ علىٰ قَدْرِ الحاجةِ، بل يُظْهِرُ اللَّدَد، والكَذِبَ؛ للإيذاءِ والتَّسْلِيْطِ علىٰ خَصْمِهِ.

وكذلك مَنْ خَلَطَ بالخُصُومةِ كلماتٍ تُؤْذي، وليسَ إليها حاجةٌ في تحصيلِ حَقِّهِ. وكذلك مَنْ يَحْمِلُهُ علىٰ الخصومةِ مَحْضُ العِنادِ؛ لِقَهْرِ الخَصْمِ وكَسْرِهِ، فهذا هو المذمومُ.

وأما المظلومُ الذي يَنْصُرُ حُجَّتَهُ بطريقِ الشَّرْعِ من غيرِ لَدَدٍ أو إسرافٍ، أو زيادةِ لُجاجٍ علىٰ الحاجةِ من غيرِ قصدِ عِنادٍ ولا إيذاءٍ فَفِعْلُهُ هذا ليسَ حرامًا.

ولكنَّ الأَولىٰ تَرْكُهُ ما وَجَدَ إليهِ سبيلًا؛ لِأَنَّ ضَبْطَ اللسانِ في الخصومةِ لعىٰ حَدِّ الاعْتدالِ مُتَعَذِّرٌ.

والخصومةُ تُوْغِرُ الصدرَ، وتهيجُ الغَضَبَ، وإذا هاجَ الغَضَبُ حَصَلَ الحِقْدُ بينهما حتىٰ يَفْرَحَ كُلُّ واحدٍ منهما بمساءَةِ الآخَرِ، ويَحْزَنَ بمَسَرَّتِهِ، ويُطْلِقَ العَنانَ بِعِرْضِهِ[٣].

باللهِ عليكَ لا تُخاصِمْ أحدًا وإذا خاصَمْتَ فلا تخاصِمْ سَفيهًا أو مماريًا أو ذا سُلْطانٍ ومتىٰ دَخَلْتَ مِنْ هذا البابِ فلا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بغيرِ الخُروجِ مِمَّا أَنْتَ فيه وليتَكَ تَخْرُجُ سالمًا.

جانِبِ السُّلطانَ واحذرْ بَطْشَهُ ... لا تُخاصِمْ مَنْ إذا قالَ فعل[٤]

---

(١) الكبائِرُ (ص:٢٥٩).

(٢) منهاجُ الجَدَلِ، ص:٥٩.

(٣) انظر: آدابَ المحادثَةِ للحَمْدِ (٥٠).

(٤) الكَشْكُولُ (١/ ٢٣٤).

١٠- كَثْرَةُ الخُلْطَةِ:

مخـالِطُ النـاسِ في الـدنيا علـى خَطَـرٍ وفي بـلاءٍ وصَـفْوٍ شِـيْبَ بالكَـدَرِ[١]

ومن موانِعِ سلامةِ الصَّدْرِ كَثْرَةُ الخُلْطَةِ.

فمِن الخير الاقتصادُ في مُخَالَطَةِ العامَّةِ؛ لِأَنَّ كثرةَ الخُلْطَةِ سببُ الغَضَبِ والذي من نتيجتِهِ الحِقْدُ ومن نتيجةِ الحِقْدِ الحَسَدُ ومن نيتيجةِ الحَسَدِ العداوةُ؛ فَيُسْخِنُ الصَّدْرَ، وُيشَتِّتُ الفِكْرَ ويُكْثِرُ الهَمَّ ويَشْتَعِلُ الرَّأْسُ، والسلامةُ لا يَعْدِلُها شيءٌ.

لقـاءُ النَّـاسِ لـيسَ يُفِيْـدُ شـيئًا سـوى الهَـذَيانِ مـن قيـلٍ وقـالِ

فَأَقْلِـلْ مـن لقـاءِ النـاسِ إلَّا لِأَخْـذِ العلـمِ أو إصْـلاحِ

وقَال أستاذنا - حَفِظَهُ اللهُ -:

تَجَنَّـبِ النـاسَ واقْـصِدْ في مخالطـةٍ لا يُعْـرَفُ العـودُين القـشِّ والحَطَـبِ

١١ - حُبُّ الشُّهْرَةِ والرياسَةِ:

حُـبُّ الرياسـةِ داءٌ لا دواءَ لَـهُ وقَـلَّ مـا تَجِـدُ الرَّاضـين بالقَـسَمِ[٣]

وحُبُّ الشُّهْرةِ والرياسَةِ هي الداءُ العُضَالُ لِأَنَّها تَدْفَعُ المنافَسَةَ في حُبِّها، وَنَيْلُ الحَظْوَةِ، إلىٰ الغِيرةِ والحَسَدِ، وربَّما تقودُ إلىٰ التَّشْنِيع والتشهيرِ عن طريقِ الادِّعاءِ والافتراءِ وهذا واقِعٌ مالَهُ مِن دافعٍ بلْ إنَّ حُبَّ الشُّهْرَةِ والرياسَةِ يُفْسِدُ دِيْنَ المرءِ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ.

---

(١) المحاضراتُ في اللُّغَةِ والأَدَبِ (٧٨).

(٢) نَفْحُ الطِّيْبِ (٢/ ١١٤).

(٣) جامعُ بيانِ العلمِ وفَضْلِهِ (١/ ٥٧١).

فعن أَبي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي حَظِيرَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حُبِّ الْمَالِ والشَّرَفِ لِدِينِ الْمَرْءِ**»(١).

والحِرصُ علىٰ المالِ والشَّرَفِ مَرَضَانِ قَلْبِيَّانِ يَجْمَعُهُما حُبُّ الدُّنيا، والقوةُ والعُلُوُّ فيها، قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تَبَيَّنَ... ذِكرُنا أَنَّ حَبَّ المالِ والرياسَةِ والحرصَ عليهما يُفْسدُ دينَ المرءِ، حتىٰ لا يَبْقَىٰ منه إلا ما شاءَ اللهُ، كما أخبرَ بذلكَ النبيُّ ﷺ وأَصْلُ مَحَبَّةِ المالِ والشَّرَفِ حُبُّ الدنيا، وأَصْلُ حُبِّ الدنيا اتِّباعُ الهوىٰ، قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: «من اتِّباعِ الهوىٰ الرَّغْبَةُ في الدنيا، ومن الرغبةِ فيه حُبُّ المالِ والشَّرَفِ، ومن حُبِّ المالِ والشَّرَفِ اسْتِحْلالُ المحارِمِ» وهذا كلامٌ حَسَنٌ، فإنَّ حُبَّ المالِ والشرفِ يَحْمِلُ علىٰ الرغبةِ في الدنيا، وإِنَّما تَحْصُلُ الرَّغْبَةُ في الدنيا من اتِّباعِ الهوىٰ(٢).

قال الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما مِن أَحَدٍ أَحَبَّ الرياسةَ إلا حَسَدَ وبغىٰ وتَتَبَّعَ عيوبَ الناسِ، وَكَرِهَ أَنْ يُذكَرَ أَحَدٌ بِخَيْرٍ»(٣).

وقال ابنُ عبدِ البَرِّ - رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ -:

حُبُّ الرِّياسةِ داءٌ يُخْلِقُ الدِّينا ... ويجعَلُ الحُبُّ حَرْبًا للمحبِّينا

يُفْرِي(٤) الحلاقِمَ والأرحامَ يَقْطَعُها ... فلا مروءةَ يُبقي لا ولا دِينا(٥)

---

(١) رواهُ الترمذيُّ (٢٣٧٦)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ سُنَنِ التِّرمذِيِّ (٢/ ٢٩٠).

(٢) شرحُ حديثِ: «**ما ذئبانِ جائعانِ**» للحافظِ عبدِ الرحمنِ بنِ رَجَبٍ الحنبليِّ (٥٧).

(٣) جامعُ بيانِ العلمِ وفضلِهِ (١/ ٥٧١).

(٤) يَفْرِي فراهُ يُفْرِيْهِ فَرْيًا: " شَقَّهُ شقًّا" انظر: تاجُ العروسِ للزبيديِّ (٣٩/ ٢٢٩).

(٥) جامعُ بيانِ العلمِ وفضْلِهِ (١/ ٥٧١).

وقال أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

إذا رأيــتَ الفتــى يــسعى لِــشُهْرَتِهِ فَعَــزِّهِ في ضــياعِ العقــلِ والأَدَبِ

١٢ - المِراءُ:

فإيَّــاكَ إيَّــاكَ المِــراءَ فإنَّــه إلــى الــشرِّ دعَّــاءٌ وللــشرَّ جالِــبُ

المِراءُ: هو كَثْرَةُ المُلاحاة للشَّخْصِ لبيانِ غَلَمِلِهِ وإفْحامِهِ، والباعِثُ علىٰ ذلكَ التَّرَفُّعُ[١].

وقال الجرجانيُّ: «المِراءُ: طَعْنٌ في كلامِ الغَيْرِ لإظْهارِ خَلَلٍ فيه، من غيرِ أَنْ يَرتَبِطَ به غَرَضٌ سوىٰ تَحْقِيرِ الغَيْرِ»[٢].

وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المراءَ وإنْ كانَ مُحِقًّا، وببيتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وإنْ كان مازِحًا، وببيتٍ في أعلىٰ الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**»[٣].

قال السَّنديُّ: قوله «**ومَنْ تَرَكَ المراءَ**» أي الجِدالَ خَوفًا مِن أَنْ يَقَعَ صاحِبُهُ في اللَّجاجِ المُوقِعِ في الباطِلِ[٤].

قال محمدُ بنُ الحَسَنِ: وعندَ الحُكَماءِ: أَنَّ المِراءَ أَكْثَرُهُ يغيِّرُ قلوبُ الإخوانِ، ويُوْرِثُ التَّفْرِقَةَ بعدَ الأُلْفَةِ، والوحْشَةَ بعدَ الأُنْسِ[٥].

---

(١) التعريفات الاعتقاديةُ لِسَعْدِ آلِ عبد اللطيفِ (ص:٢٦٥).

(٢) التعريفاتُ للجرجانيِّ (ص:٢٠٩).

(٣) رواهُ أبو داودَ (٤٨٠٠)، والطبرانيُّ في «الكبيرِ» (٨/ ٩٨)، والبيهقيُّ في «السُّنَنِ الكُبْرىٰ». (١٠/ ٤٠) (٢١١٧٦). وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترغيبِ» (٢٦٤٨).

(٤) «حاشية السنديِّ علىٰ سُنَنِ ابنِ ماجَهْ» (ص:٢٦).

(٥) أخلاقُ العلماءِ للآجريِّ (ص:٥٩).

١٣ - الجِدالُ بالباطِلِ:

مـا كـان أغنـى رجـالًا ضَـلَّ سَـعْيُهُمُ عـن الجِـدالِ وأغنـاهُمْ عـن الـشَّغَبِ[١]

الجِدَالُ هو: المفاوضَةُ علىٰ سبيل المُنَازَعَةِ والمُغَالَبَةِ[٢].

وقال الجرجانيُّ: «الجَدَلُ: دَفْعُ المرءِ خَصْمَهُ عن إِفسادِ قَوْلِهِ: بِحُجَّةٍ، أو شُبْهَةٍ، أو يَقْصُدُ به تصحيحَ كلامِهِ»[٣].

الفرقُ بينَ الجِدالِ والمِراءِ:

قِيْلَ: هُما بمعنىٰ، غيرَ أَنَّ المِراءَ مذمومٌ؛ لِأَنَّه مخاصمةٌ في الحَقِّ بعد ظهورِهِ وليسَ كذلك الجِدالُ[٤].

ولا يكونُ المِراءُ إلا اعْتراضًا بخِلافِ الجِدالِ فإنَّه يكونُ ابتداءً واعتراضًا[٥].

ذَمُّ الجِدالِ بالباطِلِ:

قال اللهُ ﷻ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال الطبريُّ: قال بعضُهم: نهىٰ عن أَنْ يُجادِلَ صاحِبَهُ حتىٰ يُغضِبَه[٦].

وقال جَلَّ شأْنُهُ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة:٢٠٤].

---

(١) المفرداتُ في غريبِ القرآنِ (ص:١٨٩).

(٢) التعريفاتُ (ص:٧٤).

(٣) الفروقُ اللُّغويةُ لأبي هلالٍ العسكريِّ (ص:١٥٩).

(٤) المصباحُ المُنير للفيوميِّ (٢/ ٥٦٩).

(٥) (جامعُ البيانِ في تأويلِ أيِ القرآنِ) (٣/ ٤٧٧).

(٦) (جامعُ البيانِ في تأويلِ آيِ القرآنِ) (٣/ ٥٧٣).

قال الطبريُّ: أي ذو جِدالٍ إذا كلَّمَكَ وراجَعَكَ(١).

وعَنْ أَبي أُمامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدىً كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هذه الآية ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزُّخرُفُ:٥٨]**»(٢).

قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمَعْنَىٰ مَا كَانَ ضَلَالَتُهُمْ وَوُقُوعُهُمْ فِي الْكُفْرِ إِلَّا بِسَبَبِ الْجِدَالِ وَهُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ مَعَ نَبِيِّهِمْ، وَطَلَبُ الْمُعْجِزَةِ مِنْهُ عِنَادًا أَوْ جُحُودًا»(٣).

وقال محمدُ بنُ الحسينِ: «من صفةِ الجاهِلِ: الجدلُ، والمِراءُ، والمُغَالَبَةُ»(٤).

لا تُفْنِ عُمْرَكَ في الجدالِ مخاصِمًا ... إنَّ الجدالَ يُخِلُّ بالأديانِ

واحْذرْ مجادلةَ الرجالِ فإنها ... تدعو إلى الشَّحْناءِ والشَّنآنِ(٥)

١٤ - الإفراطُ في المُزاحِ:

وإياكَ من فَرْطِ المزاحِ فَإِنَّهُ ... جديرٌ بتسفيهِ الحليمِ المُسَدَّدِ(٦)

الإفراطُ في المزاحِ ما كان منه مُحَرَّمًا، يخدِشُ الحياءَ ويجرحُ الكرامةَ ويثيرُ

---

(١) رواهُ الترمذيُّ (٣٢٥٣)، وابنُ ماجَه (٤٨)، وأحمدُ (٥/ ٢٥٢) (٢٢٢١٨). قال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ. وحسَّنَهُ السيوطيُّ في (الجامعِ الصغيرِ) (٧٩٣٤)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في (صحيحِ الجامعِ) (٥٦٣٣).

(٢) مرقاةُ المفاتيحِ شرحُ مِشكاةِ المصابيحِ للقاريِّ (١/ ٢٦٥).

(٣) أخلاقُ العلماءِ للآجريِّ (ص:٦٣).

(٤) ديوانُ ابنِ مشرفٍ (٢٨٥).

(٥) التذكرةُ الحمدونيةُ (٢/ ٢٢٠).

(٦) أخرجَهُ أبو داودَ (٢/ ٧١٩)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ أبي داود (٣/ ٩٤٤).

الحفيظةَ - وما أكثرُ اليوم -، وهو المعني بحديثِ الرسولِ ﷺ الذي قال فيه: «**لا يأْخُذَنَّ أَحَدُكم متاعَ أخيهِ لاعبًا ولا جادًّا**»(١).

قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَنْهِي عَنْهُ ما فِيهِ إِفْرَاطٌ أَوْ مُدَاوَمَةٌ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ والتَّفَكُّرِ فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ ويَئُولُ كثيرًا إِلَىٰ قَسْوَةِ الْقَلْبِ والْإِيذَاءِ والْحِقْدِ وَسُقُوطِ الْمَهَابَةِ والْوَقَارِ والَّذِي يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْمُبَاحُ فَإِنْ صَادفَ مصلحةً مثلَ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ(٢).

وقال الغَزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد وردَ فِي ذمِّ المزاحِ ومدحِهِ أَخْبَارٌ، فَحَمَلْنا مَا وَرَدَ فِي ذَمِّهِ علىٰ مَا إِذَا وَصَلَ إِلَىٰ حدِّ المثابرةِ والإكثارِ. فَإِنَّهُ إزاحةٌ عَن الْحُقُوقِ، ومُخْرِجٌ إِلَىٰ القطيعةِ والعقوقِ. يَصِمُ المازحَ، ويضيمُ المُمَازَحَ. فَوَصْمَةُ المازِحِ أَنْ يُذْهِبَ عَنهُ الهيبةَ والبهاءَ، ويُجرِيءَ عَلَيْهِ الغوغاءَ والسُّفَهاءَ، وَيُورثُ الغِلَّ فِي قُلُوبِ الأكابِرِ والنُّبَهاءِ. وَأَمَّا إِضامةُ المُمَازَحِ فَلَأَنَّهُ إذا قُوبِلَ بفعلٍ ممضٍّ، وَقَولٍ مُسْتَكْرَهٍ وَسكتَ عَلَيْهِ أَحْزَنَ قلبَهُ وأشغلَ فِكْرَهُ، أو قَابلَ عَلَيْهِ جَانَبَ مَعَ صَاحِبِهِ حشمةً وأدبًا، وَرُبَمَا كَانَ للعداوةِ والتباغُضِ سَبَبًا، فَإِنَّ الشَّرَّ، إذا فُتِحَ لَا يَسْتَدُّ، وَسَهْمُ الْأَذىٰ إِذا أُرْسِلَ لَا يَرْتَدُّ»(٣).

وقيلَ: مَنْ كَثُرَ مِزاحُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ حِقْدٍ عليه أو اسْتخفافٍ به(٤).

وقال خالدُ بنُ صفوانٍ: يَصُكُّ أَحَدُكم قفا أَخيه بأَصْلَبَ من الجَنْدَلِ، ويَنْشُقُهُ أَحَرَّ من الخردلِ، ويفرعُ عليه أَحَرَّ من المِرْجَلِ، ثم يقولُ: أنا أمازُحكَ!(٥).

---

(١) الفَتْحُ (١٠/ ٥٧٢).

(٢) المراحُ في المزاحِ (٣٦).

(٣) الإعجازُ والإيجازُ (٣٧).

(٤) البصائِرُ والذخائِرُ (٥/ ٣١).

(٥) الجليسُ الصالحُ الكافي (٧٤).

قال الشاعر:

لـــي صـــاحبٌ لَـــيْسَ يَخْلُـــو ... لِـــسَانُهُ عَـــنْ جِرَاحِـــي
يُجيـــدُ تمزيـــقَ عِرْضـــي ... عَلَـــى طَرِيـــق المـــزاحِ[1]

وقال آخَرُ:

لا تُـــورِدَنَّ علـــى الـــصديقِ ... مـــن الدعابـــةِ مـــا يُغِمُّـــهُ
واحْـــذَرْ بـــوادِرَ طَيْـــشِهِ ... يومًـــا إذا مـــا غـــابَ حِلْمُـــهُ
فالعِجْـــلُ تَنْطَحُـــهُ علـــى ... إدمـــانِ مَـــصِّ الـــضَّرْعِ أُمُّـــهْ[2]

١٥ - الإفراطُ في العتابِ:

ولـيسَ عتـابُ المـرءِ للنـاسِ نافعًـا ... إذا لـم يكـنْ للمـرءِ لُـبٌّ يعاتِبُـهْ[3]

من موانِع سلامةِ الصدرِ الإفراطُ في العتابِ مع الأقرباءِ وغيرِهم؛ لِأَنَّ الإفراطَ في العتابِ رسولُ القطيعةِ، وداعي الضَّغِيْنَةِ، وسببُ العداوةِ وأَوَّلُ التَّجافي، ومنزِلُ التَّهاجُرِ، ومفتاحُ الحِقْدِ.

قال الجاحِظُ: «واعلمْ أَنَّ كثرةَ العتابِ سببٌ للقطيعةِ، وَاطِّراحَهُ كُلَّهُ دليلٌ علىٰ قِلَّةِ الاكْتراثِ لِأَمرِ الصديقِ. فَكُنْ فيه بينَ أمرينِ: عاتِبْهُ فيما تَشْتَرِكانِ في نفعِهِ وضُرِّهِ وذلك في الهَيِّناتِ، وتجافَ له عن بعضِ غَفْلاتِهِ تَسْلَمْ لك ناحيتُهُ»[4].

---

(١) الآدابُ النافعةُ (٣١).

(٢) التمثُلُ والمحاضرةُ (٤٦٥).

(٣) الرسائلُ الجاحظيَّةُ (١/ ١٧٦).

(٤) اللطائفُ والطرائفُ (١٥٤)

قال أسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -:

يعـــاتبُني حتـــى كَرِهْـــتُ عتابَـــهُ وإنْ كنـــتُ بـــالعُتبى مُقِـــرًّا وبالـــذنبِ

فمن يعاتبُكَ أحيانًا، مراعيًا لك كرامَتَكَ حافظًا علىٰ وقارِكَ فهذا يحبُّكَ بلا شَكٍّ.

إذا ذهـــبَ العتـــابُ فلـــيسَ وُدٌّ ويبقـــى الـــوُدُّ مـــا بَقِـــيَ العِتـــابُ[1]

قال بعضهم: «الصَّبْرُ علىٰ مضضِ الأَخِ خيرٌ من معاتبَتِهِ، والمعاتبةُ خيرٌ منَ القطيعةِ، والقطيعةُ خيرٌ من الوقيعةِ».

وقال آخَرُ: «ظاهِرُ العتابِ خيرٌ من مكنونِ الحِقْدِ».

وعلىٰ هذا المعنىٰ يصدُقُ قولُ محمدِ بنِ داودَ: «مَنْ لَمْ يعاتِبْ علىٰ الزَّلَّةِ، فليسَ بحافظٍ للخِلَّةِ».

فإن عاتبْتَ فليكُنْ عتابُك بحقٍّ ورفقٍ ولطفٍ ولا تبالغُ فيه فتسيءَ أكثرَمن إساءةِ المُعَاتَبِ.

تَرَفَّـــقْ أيُّهـــا المـــولى علـــيهِمْ فـــإنَّ الرِّفْـــقَ بالجـــانِي عِتـــابُ

وقد قيل: «إنَّ أفضلَ العتابِ ما غَرَسَ العفوَ وأثمرَ المَحَبَّةَ، وعَتْبٌ يوجب العفوَ والصفاءَ أفضلُ من تركٍ يُعْقِبُ الجفاءَ».

رأيـــتُ أســـاليبَ العتـــابِ كثيـــرة والطَفُهـــا مـــا أكَّـــدَ الحُـــبَّ في القلـــبِ

إذا مـــا خَلَوْنـــا لـــم أَجِـــدْ مـــا أقولُـــهُ يَلِـــذُّ سـوَى الـشكوى إليـهِ مـع العَتْـبِ

وعلىٰ المعاتَبِ أَنْ يصبرَ علىٰ مَنْ يُعاتِبُهُ ويُحْسِنَ إليه فلعلَّهُ بذلكَ يريحُ نفسَهُ بتلك المعاتبةِ فتصْفو نفسُهُ بعدَها.

---

(١) الأخلاقُ والسِّيَرُ (٤٠).

قُــلْ لأحبابِنـــا الجُنـــاةِ علينَـــا دَرَّجُونـــا علـــى احتمـــالِ المَـــلالِ
أحْـــسِنُوا في عتـــابِكم أو أسِـــيئُوا لا عَـــدِمْنَاكم عَلَـــى كـــلِّ حـــالِ

ومن أرادَ العتابَ فَلْيُحْسِنْ اختيارَ الوقتِ والمكانِ المُنَاسِبَيْنِ له؛ فلا يعاتِبْ بحضرةِ أُناسٍ آخَرين، كما لا يعاتِبْ فيي حالِ فَرَحٍ أو حُزْنٍ أو انشغالٍ؛ فهذا مما يزيدُ الأمر سوءًا وقد أحسنَ القائِلُ:

ولو كانَ هذا موضعَ العَتْبِ لاشْتَفَى فُـؤادِي ولكـنْ للعتـابِ مواضِـعُ

وقال حاتمُ الأَصَمُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيتَ من اخيكَ عيبًا فإن كتمْتَهُ عليهِ فقد خُنْتَهُ، وإِنْ قُلْتَه لغيرِه فقد اغْتَبْتَه، وإنْ واجَهْتَه به فقد أَوْحَشْتَهُ»؛ قيل له: «كيفَ أصنعُ» قال: «تُكَنِّي عنه، وتُعَرِّضُ به وتجعلُهُ في جُمْلةِ الحديثِ».

العتابُ لا يَصْلُحُ مع كُلِّ أَحَدٍ:

ليسَ كُلُّ أحدٍ يستَحِقُّ العتابَ قال ابنُ حَزْمٍ: «العتابُ للصديقِ كالسَّبْكِ للسَّبيكةِ فإمَّا تصفُو وَإِمَّا تَطِيْرُ».

فربَّما ألجأْتَ الصديقَ إلىٰ أَنْ يواجِهَكَ بما هو شرٌّ مِمَّا هو فيه، فَيُصَارُ لما عرَّفَهُ أبو عليٍّ اليماميُّ:

صـــارَ العتـــابُ يزيـــدني بُعـــدًا ويزيـــدُ مـــن عاتَبْتُـــهُ صـــدًّا

فقد نُقِلَ عن أبي سليمانَ الدارانيِّ أنَّه قال لأحمدَ بنِ أبي الحواريِّ: «إذا واخَيْتَ أحدًا في هذا الزمانِ فلا تعاتِبْهُ علىٰ ما تَكْرَهُهُ، فَإِنَّكَ لا تَأْمَنُ من أَن ترىٰ في جوابِهِ ما هو شرٌّ من الأوَّلِ»، قال: «فجرَبْتُهُ فوجَدْتُهُ كذلِكَ».

وَتَذَكَّرْ أَنَّ العتابَ غيرُ مأمونِ العاقبةِ، وأنَّ السلامَةَ في تَرْكِ غيرِ ما استثنيناهُ، وأنَّه

لربَّما استحالَتْ الصِّلَةُ هَجْرًا وحالَ دونَ الوصلِ بعدَ ذلكَ الفراقُ، وفي ذلك يقولُ ابنُ حَزْمٍ: «وهَلْ هجَسَ في الأفكارِ، أو قامَ في الظنونِ، أَشْنَعُ وأوجَعُ من هجرِ عتابٍ وَقَعَ بين مُحِبِّيْنَ، ثُمَّ فاجأَهُمْ النَّوىٰ قبلَ حلولِ الصُّلْحِ وانْحلالِ عُقْدَةِ الهجرانِ، فقاما إلىٰ الوداعِ وقد نُسِيَ العتابُ وجاءَ ما طمَّ علىٰ القُوىٰ وأطار الكرىٰ... إلخ».

وعندما تكونُ غاضِبًا حاوِلْ أَنْ لا تُعَاتِبْ مَنْ أَغْضَبَكَن لِأَنَّكَ ولا رَيْبَ ستتحوَّلُ إلىٰ المعنىٰ الأولِ من العتابِ ورُبَّما تخْسَرُ النِّزالَ[1].

١٦ - الهجرُ فوقَ ثلاثةٍ:

أردتُ عتـــابَكم فـــصفحْتُ إني ... رأَيْـتُ الهَجْـرَ مبـدؤُهُ العتـابُ[2]

ومن موانِعِ سلامةِ الصَّدْرِ هَجْرُ المسلمِ لأخيهِ المسلمِ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ لحَظِّ النفسِ؛ لِأَنَّ الهجرَ لحَظَّ النفسِ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ داعيةٌ لِسَخَنِ الصدورِ وغليانِها بالبغضاءِ والإحَنِ.

ويعرفُ الهجرُ بِأَنَّهُ ضِدُّ الوصْلِ، فالمرادُ به التَّرْكُ قولًا أو فِعلًا.

فيتركِ الشَّخْصِ مُكالمةَ الآخَرِ إذا تلاقَيَا فَيَلْقَىٰ أحدُهما الآخَرُ، فينأَىٰ عنه بجانِبِهِ، ويلوِي الآخَرُ عُنُقَهُ. لا يَنْبِسَانِ بكلامٍ، ولا يتبادلانِ السلامَ، لكنَّهُ إذا كانَ لِحَظِّ النَّفْسِ جازَ ثلاثَةَ أيامٍ؛ لِأَنَّ للغَضَبِ ثورةً وسُلطانًا وحِدَّةً، يصعُبُ التغلُّبُ عليها أَوَّلَ الأَمْرِ، فَرُخِّصَ للشَّخْصِ في ثلاثٍ، حتىٰ تهدأَ نارُ الغَضَبِ أو تَخْمُدَ، ويضعُفَ أَثَرُهُ أو يَذْهَبَ.

فعَنْ أَبي أَيُّوبَ الأنْصَارِيَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ**

---

(١) انظرْ: العتابَ بينَ الأصدقاءِ (٧٦).

(٢) العتابُ بينَ الأصدقاءِ (١٩).

فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ. يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بالسَّلَامِ»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ**»(٢).

قال العلماءُ نَفْيُ الحِلِّ دالٌّ علىٰ التحريم، فَيَحْرُمُ هُجرانُ المسلمِ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ. ودَلَّ مفهومُهُ علىٰ جوازِهِ ثلاثةَ أيامٍ. وحكمُهُ جوازُ ذلك هذه المُدَّةَ؛ لِأَنَّ الإنسانَ مجبولٌ علىٰ الغَضَبِ وسوءِ الخُلُقِ ونحوِ ذلك فَعُفِيَ له هَجْرُ أخيهِ ثلاثةَ أيامٍ ليذهبَ العارضُ تخفيفًا علىٰ الإنسانِ ودفعًا للإضرارِ بهِ، ففي اليومِ الأولِ يَسْكُنْ غَضَبُهُ، وفي الثاني يُراجِعُ نَفْسَهُ، وفي الثالِثِ يَعْتَذِرُ، وما زادَ علىٰ ذلك كان قَطْعًا لحقوقِ الأُخُوَّةِ، وقد فَسَّرَ معنىٰ الهجرِ بقولِهِ: «يلتقيانِ... إلىٰ آخِرِهِ» وهو الغالبُ من حالِ المتهاجِرين عند اللقاءِ. وفيه دلالةٌ علىٰ زوالِ الهَجْرِ له بردِّ السَّلامِ، وإليه ذَهَبَ الجمهورُ(٣).

وأَنَّ مَنْ يَهْجُرْ أخاه المسلمَ يتوقَّفُ في قَبولِ عَمَلِهِ حتىٰ يَتْرُكَ الهُجرانَ؛ كما جاء في الحديثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ باللهِ شيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا.. وفِي حَدِيثِ الدَّرَاوَرْدِيِّ إِلَّا المُتَهَاجِرَيْنِ**»(٤).

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٦٠٧٧)، ومسلمٌ (٢٥٦٠).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٥٧١٨)، ومسلمٌ (٢٥٥٩).

(٣)شرحُ النوويِّ لصحيحِ مسلمٍ (١٦/ ١٠٠)، وسُبُلُ السَّلامِ (٤/ ١٩٩١).

(٤) رواهُ مسلمٌ (٢٥٦٥).

ويْحَكَ أتهجُرُ أخاكَ فوقَ ثلاثٍ لذنبٍ وأيُّ أَخٍ لم يذنِبْ باللهِ عليك ألا تَعْلَمُ أَنَّ الأَخَ - وإِنْ بَلَغَتْ مودَّتُهُ المنتهىٰ - قد يظهرُ لك من أمرِهِ ما يلائِمُ صِلَةَ المودَّةِ، فلو أخذتَ تَهجُرُ من إخوانِكَ كُلَّ مَنْ صَدَرَتْ منه هفوةٌ، لم تَلْبَثْ أَنْ تَفْقِدَهُمْ جميعًا، ولا يبقَىٰ لك علىٰ ظَهْرِ الأرضِ أَخٌ غيرُ نفسِكَ التي بين جنَبيْكَ، عَرَفَ هذا المعنىٰ الشاعِرُ الذي يقولُ:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لا تُلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ[1]

ومع أنه لا يجوزُ هجرُ الأخِ فوقَ الثلاثِ مَنْ يُتَوَقَّعُ منه الضَّرَرُ في الدينِ أو الدنيا[2].

قال ابنُ عبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثلَاثٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَخَافُ مِنْ مُكَالَمَتِهِ وَصِلَتِهِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِينَهُ أَوْ يُوَلِّدُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ مَضَرَّةً فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَقَدْ رُخِّصَ لَهُ فِي مُجَانَبَتِهِ وَبُعْدِهِ وَرُبَّ صَرْمٍ جَمِيلٍ خَيْرَ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا مَا تَقَضَّى الْوُدُّ إِلَّا تَكَاشُرًا ... فَهَجْرٌ جَمِيلٌ لِلْفَرِيقَيْنِ صَالِحُ[3]

١٧ - التَّكَبُّرُ عن قَبولِ الهديَّةِ:

هديةٌ ما رأَيتُ مُهْدِيَها ... إلا رأيْتُ العِبادَ في رَجُلِ[4]

من موانِعِ اكتسابِ سلامةِ الصَّدْرِ التَّكَبُّرُ عن قَبولِ الهديةِ، وهذا مِمَّا يُوْرِثُ الحقدَ

---

(١) انظر: العتابَ بينَ الأصدقاءِ (١٩).

(٢) انظر كتابَ (إِمْعَانُ النَّظَرِ في مشروعيةِ البُغْضِ والهَجْرِ، لعبدِ الكريمِ الحميد) تَعْرِفْ أَنواعَ الهَجْرِ.

(٣) التمهيدُ (٦/ ١٢٧).

(٤) المنصفُ (٢٦٩).

والبغضاءَ، والرسولُ ﷺ كان يَقْبَلُ الهديةَ مهما كانتْ، قَلَّتْ أَو كَثُرَتْ عَظُمَتْ أو حَقُرَتْ حِرْصًا منه ﷺ علىٰ سلامةِ القلوبِ، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لو دُعِيْتُ إلىٰ كُرَاعٍ أو ذراعٍ لأجَبْتُ ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ لَقَبِلْتُ**»(١).

قال الحافِظُ: خَصَّ الذراعَ والكُراعَ بالذِّكْرِ لِيَجْمَعَ بين الخَطِيرِ والحَقيرِ؛ لأنَّ الذراعَ كانَتْ أحبَّ إليه من غيرِها، والكُراعَ لاقيمةَ له،... قال ابنُ بطالٍ: أشارَ إلىٰ الحَضِّ علىٰ قبولِ ذلك لما فيه من التآلفِ(٢).

فتَأَمَّلْ كيفَ كانَ النبيُّ ﷺ يُراعِي مشاعِرَ الناسِ، ويُقَدِّرُ عواطِفَهُم فلا يَرُدُّ أَيَّ هديةٍ تُقَدَّمُ إليه مهما كانت يسيرةً، كما قال ﷺ: «**لو أُهْدِيَ إليَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ لَقَبلتُ**»؛ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ صاحِبَها لم يُهْدِها إليهِ إلَّا تعبيرًا عَمَّا يُكِنُّهُ له من محبَّةٍ ومودَّةٍ فكيفَ يردُّها إليهِ، أليسَ من مقابلةِ الإِحسانِ بالإِحسانِ ومواجَهةِ المشاعِرِ الطيبةِ بمثلِها قَبولُ الهديةِ تَطْيِيبًا لِنَفْسِ مُهْدِيْها، فَهُوَ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ جَبْرًا لخاطِرِ صاحِبِها ولِئَلَّا يُسِيْءَ إليه بِرَدِّها مع أَنَّهُ عَبَّرَ له عن مَحَبَّتِهِ بِإِهدائِها(٣).

نهىٰ ﷺ عن احتقارِ الهديَّةِ:

إِنَّ الهـــدايا لهـــا حَـــظٌّ إِذا وَرَدَتْ أحظَى من الإِبْنِ عند الوالِدِ الحَدبِ(٤)

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»(٥).

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٦٢٢١).

(٢) فَتْحُ البارِيْ (٥/ ٦٠).

(٣) منارُ القاري (١٠/ ٤).

(٤) من رحيقِ الشعرِ (٢٦٥).

(٥) رواهُ البخاريُّ (٦٠١٧)، ومسلمٌ (١٠٣٠).

الفِرْسِنُ بكسرِ الفاءِ، وسكونِ الراءِ، وكسرِ السينِ ثُمَّ نونٌ: هو العَظْمُ قليلُ اللَّحْمِ، وهو خُفُّ البعيرِ أيضًا، وقد يُستعارُ للشَّاةِ وهو الظِّلْفُ.

والمقصودُ بالفِرْسِنِ في الحديثِ: حافِرُ الشَّاةِ(١).

ومعنىٰ الحديثِ: لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ أَنْ تُهْدِيَ إلىٰ جارتِها شيئًا ولو أَنْ تُهْدِيَ لها ما لا يُنْتَفَعُ به في الغالِبِ(٢).

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الحديثِ: وَمَعْنَاهُ لَاتَمْتَنِعُ جَارَةً مِنَ الصَّدَقَةِ والْهَدِيَّةِ لِاسْتِقْلَالِها وَاحْتِقَارِهَا الْمَوْجُودَ عِنْدَهَا بَلْ تَجُودُ بِمَا تَيَسَّرَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا كَفِرْسِنِ شَاةٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْعَدَمِ وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة:٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٣)(٤).

وقال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال الكرمانيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ النهيُ للمُعْطِيَةِ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ للمُهْدَىٰ إليها.

قُلْتُ: ولا يَتِمُّ حَمْلُهُ علىٰ المُهْدَىٰ إليها بِجَعْلِ اللامِ في قولِهِ: لجارَتِها بمعنىٰ مِنْ، ولا يَمْتَنِعُ حَمْلُهُ علىٰ المَعْنَيَيْنِ(٥).

قال أستاذنا – حفظه الله –:

خُـــذ الهديـــةَ لا تَنْظُـــرْ لقيمتِهـــا ... وافْـرَحْ وطيِّـبْ بِـشُكْرٍ قَلْـبَ مُهْـدِيها

لـــولا محبَّتُـــهُ مـــا كـــان أحْـــضَرَها ... وطيبـــةُ الـــنفس منـــه خيـــرُ مـــا فيهـــا

---

(١) انظرْ: مسلمُ بشرحِ النوويِّ (٧/ ٩٨،٩٩)، والآدابُ الشرعيةُ (٢/ ٢٠)، وفتحُ الباري (١٠/ ٩).

(٢) انظر: فتحَ الباريِ (١٠/ ٤٥٣).

(٣) أخرجَهُ البخاريُّ (٦٥٤٠) ومسلمٌ (١٠١٦).

(٤) صحيحُ مسلمٍ بشرحِ النوويِّ (٧/ ٩٩).

(٥) فتحُ الباري (١٠/ ٤٥٩).

يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَدَّ الهديةَ بيانُ سَبَبِ رَدِّها:

قَبــولُ الهــدايا سُــنَّةٌ مُــسْتَحَبَّةٌ إذا هـي لـم تَـسْلُكْ طريـقَ تَحـابي[١]

ويُسْتَحَبُّ لِمَنْ امْتَنَعَ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ وَنَحْوِهَا لِعُذْرٍ أَنْ يَعْتَذِرَ بذلِكَ إِلَىٰ الْمُهْدِي تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ حتىٰ لا يَجِدَ في نفسِهِ بسببِ رَدِّ هدِيَّتِهِ، فَعَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ الليثيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه «أَهْدَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بوَدانَ - فَرَدَّهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَىٰ مَا فِي وَجْهِي، قَالَ: «**إِنَّا لَمْ نَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُم**»[٢].

قَبولُ الهديَّةِ من الفُقَراءِ:

لا تَنْظُــرَنَّ إلــى زهيــدِ هديَّــةٍ بــل فَـانْظُرَنَّ لِقَلْـبِ مَـنْ أَهْـداها[٣]

وبعضُ الناسِ يَتَعَلَّلُ في رَدِّ الهديَّةِ بتعليلٍ باردٍ وهي أَنَّ الرجُلَ فقيرٌ، فكيفَ نَقْبَلُ منه!!

وهذا إنْ لمْ يَكُنْ بابًا من أبوابِ الكِبْرِ فهو بابٌ من أبوابِ البُخْلِ، أَوْ هُما معًا؛ لِأَنَّ الكريمَ يفرَحُ بهديَّةِ الفقيرِ ويُثيبُ عليها بِمِثْلِها أو أَحْسَنَ منها.

فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا[٤][٥].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُلَقَّبُ: حِمارًا، وَكَانَ يُهْدِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْعُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ وَالْعُكَّةَ مِنَ الْعَسَلِ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَاضَاهُ جَاءَ بِهِ

---

(١) من رحيقِ الشعرِ (٢٦٢).

(٢) البخاريُّ (١٨٢٥)، مسلمٌ (١١٩٣).

(٣) من رحيقِ الشعرِ (٢٦٣).

(٤) وَيُثِيبُ عَلَيْهَا مِن أَثابَ يُثِيْبُ أَي: يُكافِيءُ عَلَيْهَا بِأَنْ يُعْطي صَاحِبَهَا الْعِوَضَ، والمكافَأَةُ علىٰ الهَدِيَّةِ مَطْلُوبَةٌ اقْتِدَاءً بالشَّارِعِ. عمدةُ القارِي (١٣/ ١٤١).

(٥) رواهُ البخاريُّ (٢٥٨٥).

إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ هَذَا ثَمَنَ مَتَاعِهِ. فَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَبَسَّمَ، وَيَأْمُرَ بِهِ فَيُعْطَىٰ»[1].

وأحسن ما قيل في الإهداء إلىٰ الكبار:

علـى العَبْـدِ حَـقٌّ فهـو لابُـدَّ فاعِلُـهْ ... وإِنْ عَظُـمَ المـولَى وجَلَّـتْ رسـائِلُهْ

أَلَـمْ تَرَنـا نُهـدِي إلـى اللهِ مالَـهُ ... وإِنْ كـان عنـه ذا غِنْـى فهـو قابِلُـهْ[2]

(١) رواهُ البُخَاريُّ (٦٧٨٠).

(٢) الأوائلُ للعَسْكريِّ (٣٤٨).

صُورٌ من سلامةِ الصَّدْرِ

١ - سلامةُ الصَّدْرِ للعامَّةِ:

ولا غَـرْوَ أَنْ ماتَـتْ حُقـودٌ بِحِلْمِكُـمْ فَـإِنَّ صـدورَ القـادِمِين قبورُهـا[١]

١ - **سلامَةُ الصَّدْرِ مع عامَّةِ النَّاسِ**، أَلَّا يحملَ لهم في قلبِهِ غِلًّا ولاحَسدًا، ولا غيرَها من الأمراضِ والأدواءِ القلبيَّةِ، التي تقضي علىٰ أواصِرِ المحبَّةِ، وتقطعُ صِلاتِ المودَّةِ.

ومَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ قبلَ النومِ وسامَحَ العبادَ وصَفَّىٰ لهم قَلْبَهُ فَإِنَّهُ يَبِيْتُ قريرَ العينِ، هادئَ النفسِ، ناعِمَ البالِ.

سلامَةُ الصدرِ أَهْنَا لي وأرْحَبُ لي ومركبُ المجدِ أحلى لي من الزَّلَلِ
إِنْ نُمْتَ نُمْتَ قريرَ العينِ ناعِمَها وإِنْ صَحَوْتُ فوجْهُ السَّعْدِ يَبْسُمُ لي
وأمتطي لمراقي المجدِ مركبتي لا حِقْدَ يُوْهِنُ من سَعْيِيْ ومن عَمَلي
مُبَرَّأُ القلبِ من حقدٍ يُبَطِّئُني أما الحقودُ ففي بُؤْسٍ وفي خَطَلِ

٢ - سَلَامةُ الصَّدرِ مع الخاصَّةِ:

قلبي إليكَ وإنْ أعرضْتُ مُنْقَادُ ليستْ عليكَ وإنْ أذنبتَ أحقادُ[٢]

سلامةُ الصَّدْرِ مع الإخوانِ والمُقَرَّبين من أعظمِ أخلاقِ أَهْلِ الدنيا والدينِ ومن أعظمِ أسبابِ بقاءِ المودَّةِ خضَراءَ وارِفةَ الظلالِ ناديةَ الأفياءِ فالناسُ ينفِرُونَ من الذي يُضْمِرُ الضَّغْنَ لِإخوانِهِ غايةَ النفورِ؛ لِأَنَّه أَشْبَهُ ما يكونُ بقنبلةٍ موقوتةٍ فهلْ تَجِدُ عاقلًا يَقْتَرِبُ منها؟!

---

(١) النكتُ العصريةُ (٢٧٧).

(٢) ديوانُ ابنِ الروميِّ (١٤٥٤).

٣ - سَلَامةُ الصَّدرِ مع وُلاةِ الأَمْرِ:

توقينـــا الـــشماتَةَ مـــن أُنـــاسٍ ذوي ضَـــغْنٍ فمـــا نَفَـــعَ التَّـــوقِّي[١]

سَلَامةُ الصَّدرِ مع وُلاةِ الأَمْرِ، فلا يَحْمِلُ عليهم حِقْدًا، ولا يثيرُ عليهم العامَّةَ، ولا يذكُرُ مَثالِبَهم عند النَّاسِ، ويكونُ نصوحًا لهم، مُشْفِقًا عليهم، غاضًّا الطرفَ عن أخطائِهم التي يُتَجَاوَزُ عنها، ويَذْكُرُهم بخيرِ أعمالِهم وصفاتِهم وقد وَرَدَ النهيُ عن ذكرِ أخطاءِ الأُمراءِ علىٰ الخصوصِ لما في ذِكْرِ أخطائِهم من إذكاءِ نار الفتنةِ وفتحِ أبوابِ الشرورِ علىٰ الأمةِ وسَخْنِ صدورِ العامةِ عليهم، أخرجَ الترمذيُّ عن زيادِ بن كسيبٍ العدويِّ قال: كنتُ مع أبي بَكْرَةَ تحتَ مِنْبَرِ ابنِ عامرٍ - وهو يَخْطُبُ وعليه ثيابٌ رِقاقٌ - فقال أبو بلالٍ: انظروا إلىٰ أميرِنا يَلْبَسُ ثيابَ الفُسَّاقِ، فقال أبو بكرةَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رسولَ اللهِ يقولُ: «**مَنْ أهانَ سلطانَ اللهِ في الأَرْضِ أهانَهُ اللهُ**»[٢].

قال العلامَةُ محمدُ بنُ صالحِ بنِ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاللهَ اللهَ في فَهْمِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصالحِ في التعامُلِ مع السلطانِ، وأَنْ لا يَتَّخِذَ من أخطاءِ السُّلطانِ سبيلًا لإثارةِ الناسِ وإلىٰ تنفير القلوبِ عن وُلاةِ الأمورِ، فهذا عَيْنُ المَفْسَدَةِ، وأَحَدُ الأُسُسِ التي تَحْصُلُ بها الفِتْنَةُ بين الناسِ. كما أَنَّ مَلْءَ القلوبِ علىٰ ولاةِ الأمرِ يُحْدِثُ الشَّرَّ والفتنةَ والفوضَىٰ. وكذا مَلْءُ القلوبِ علىٰ العلماءِ يُحْدِثُ التقليلَ من شَأْنِ العلماءِ، وبالتالي التقليلُ من الشريعةِ التي يحملونَها.

---

(١) ديوانُ أحمد محرم (١٤٠).

(٢) أخرجَهُ التِّرمِذيُّ (٢٢٢٤)، وأخرجه الإمامُ أحمدُ في المسندِ (١٩٣) من الطريقِ نفسِهِ دونَ ذِكْرِ القِصَّةِ ولفْظُهُ: «**من أكرمَ سلطانَ اللهِ - تبارَكَ وتعالىٰ - في الدنيا أكرَمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ، ومن أهانَ سلطانَ اللهِ - تبارَكَ وتعالىٰ - في الدنيا أهانَهُ اللهُ يومَ القيامة**» وقد حَسَّنَ الحديثَ الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلةِ الصحيحةِ» (١٩٦).

فإذا حاوَلَ أحَدٌ أن يُقَلِّلَ من هيبةِ العلماءِ وهيبةِ ولاةِ الأمرِ ضاعَ الشَّرْعُ والأَمْنُ.

لأَنَّ الناسَ إِنْ تكلَّمَ العلماءُ لم يَثِقُوا بكلامِهِمْ وإِنْ تَكَلَّمَ الأُمراءُ تَمَرَّدُوا علىٰ كلامِهِم، فَحَصَلَ الشَّرُ والفَسَادُ»[١].

وذي ضـــغن أمـــتُّ القـــولَ منـــه ... بِحِلْـــمٍ واســـتمرَّ علـــى المقـــالِ

ومَـــنْ يَحْلَـــمْ ولـــيسَ لَـــهُ ســـفيهٌ ... يـــلاقِ المعـــضلاتِ مـــن الرجـــالِ[٢]

٤ - سَلَامَةُ صدورِ الوُلاةِ للرَّعيَّةِ:

فمـــا ســـادَ في قـــومٍ حَقـــودٌ علـــيهم ... ولا حِيْـزَتِ النَّعمـاءُ يومًـا لحاسِـدِ[٣]

سَلَامةُ صدورِ الوُلاةِ للرَّعيَّةِ، فلا يُكْثِرُ من الشُّكوكِ فيهم، ولا يتربَّصُ بهم أو يتجسَّسُ عليهم، أو يؤذيهم في أموالِهم أو ممتلكاتِهم، ويكونُ مُشْفِقًا عليهم، ساعيًا وراءَ راحتِهم.

٥ - سَلَامةُ صدورِ العلماءِ وطلبةِ العِلْمِ:

لَا بـأسَ بـالمرءِ مَـا صـحَّتْ سَـرِيرتُهُ ... مَـا النَّـاسُ إِلَّا بِأَهْـلِ العِلْـمِ والنَّـاسِ[٤]

سَلَامةُ صدورِ العلماءِ وطلبةِ العلمِ بعضِهم مع بعضٍ، فـ «أحقُّ النَّاسِ - بعدَ العلماءِ - بسَلَامةِ الصَّدرِ طلَّابُ العِلْمِ، فطالبُ العلمِ غدًا يَقِفُ أمامَ النَّاسِ يُفْتِيْهم ويعلِّمُهم ويُرْشِدُهم، فلا بدَّ من أن يُرَبِّي نفسَهُ علىٰ سَلَامةِ الصَّدرِ، ونقاءِ السَّريرةِ»[٥].

---

(١) «حقوقُ الراعي والرعِيَّةِ» محموعةُ خُطَبٍ للشيخِ ابنِ عُثيمينَ.

(٢) ديوانُ المعاني (٢/ ٢٢٤٨)

(٣) ديوانُ الأخرسِ (٨٤٨).

(٤) ديوانُ أبي العتاهيةِ (٧١).

(٥) انظر: معالِمَ تربويةً للشنقيطيِّ (٦٤).

٦ - سلامةُ الصدرِ للأرحامِ:

وَكُـنْ واصِـلَ الأَرْحَـامِ حَتَّـى لَكَاشِـحٍ تُـــوَفَّرَ فِي عُمْـــرٍ وَرِزْقَ وَتَـــسْعَدِ[١]

سلامةُ الصدرِ للأرحام من أعظمِ القُرُباتِ فحقوقُهُم واجبةٌ والبِرُّ بهم متعيِّنٌ ولا يُتَوَصَّلُ بذلك إلا بسلامةِ الصَّدْرِ لهم، لهذا كانَتْ أفضلُ الصدقةِ علىٰ ذي الرَّحِمِ الكاشِحِ.

فعن أيوبَ بنِ بشيرٍ وحكيمِ بنِ حزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سأل رسولَ اللهِ ﷺ عن الصَّدَقاتِ أَيُّهما أفضلُ قال: «**علىٰ ذي الرحمِ الكاشِحِ**»[٢] فدلَّ الحديثُ: علىٰ أَنَّ أفضلَ الصدقاتِ وأعظَمَها أجرًا عند اللهِ ﷻ علىٰ ذي الرحِمِ الكاشِحِ، والكاشِحُ هو الذي يُضْمِرُ لك العداوةَ والبغضاءَ ويطوي عليها كِشْحَهُ - أي باطِنَهُ - وإنما فُضِّلَتْ هنا؛ لِأَنَّ فيها قَهْرَ النَّفْسِ الإذعانِ لِمُعادِيها بإعطائِهِ وتسكينَ ثائِرةِ بُغْضِهِ وعدوتِهِ ورَدَّهُ إلىٰ حظيرةِ الحَقِّ والصوابِ بالإحسانِ إليه، وهذا من محاسِنِ ديننا فإنه يَحُثُّ علىٰ المكارِمِ.

ويرشِدُ إلىٰ طريقِ تحصيلِها ولا يقتصرُ الأمرُ علىٰ الصدقاتِ بل كُلِّ ضروبِ الإحسانِ من صدقاتٍ أو هديةٍ أو منفعةٍ أو زيارةٍ وحتىٰ كلمةٍ طيبةٍ، وأعظمُ ذلك الصبرُ علىٰ أذاهُ والدَّفْعُ بالتي هي أَحْسَنُ فَمَنْ فَعَلَ ذلك فاحَ عبيرُ فَضْلِهِ ولاحَ كوكَبُ صُبْحِ صَلاحِهِ، وأَجْنَتْ شَجَراتُ آمالِهِ، وأينعَتْ ثمراتُ أعمالِهِ[٣].

وذي رحـــمٍ قلمـــتُ أظفـــارَ ضِـــغْنِهِ بحِلْمـــي عَنْـــهُ وهـــو لـــيسَ لـــهُ حلـــمُ

---

(١) مجموعةُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ١٨٦).

(٢) أخرجَهُ أحمدُ (١٥٣٢٠)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ الجامعِ (١١١).

(٣) انظر كتابي: «أعذبُ الكلامِ في صِلَةِ الأرحامِ (٥٥)» والكتابُ رياضٌ مونقةٌ فيها من بديعِ الجَمالِ وطيبِ الثمارِ.

وطيـــبُ ثمـــارٍ في ريـــاضٍ أَرِيْـــضَةٍ وأغـصانُ أشـجارٍ جناهـا علـى قُـرْبِ

إذا سِـمُتهُ وصْـلُ القرابـةِ سـامني قطيعَتَهـا تلـكَ الـسَّفاهةُ والظُّلْـمُ
فمـا زِلـتُ في لِـينٍ لـهُ وتعطُّـفٍ عليـه كمـا تحنـو علـى الوَلَـدِ الأمُّ
لأَسْـتلَّ منـهُ الـضَّغْنَ حتـى سَـلَلْتُهُ وإنْ كـان ذا ضِـغْنٍ يـضيقُ بـه الحَـزْمُ[١]

٧ - سلَامةُ الصَّدْرِ للجيرانِ[٢]:

يـا علـيلا حَـشَا الجـوانِحَ نـارًا كانَ لـي فيكَ حافِظُ الجارِ جارًا[٣]

سلامةُ الصدرِ للجيرانِ، فكثيرًا ما تحصُلُ المشاحَنةُ بين الجيرانِ بسببِ النساءِ أو الأطفالِ أو كثرةِ الخُلطةِ سِيَّما مخالطةُ بعضِ النمَّامين منهم والذين يسعون لفسادِ ذاتِ البينِ، والجارُ الكاشِحُ يطوي باطِنَهُ علىٰ البُخْلِ والشُّحِّ لجيرانِهِ حتىٰ بالبسْمةِ أو الكلمةِ الطيبةِ فَضْلًا عن البرِّ والإحسانِ.

فبقاءُ الصدورِ سليمةً لبعضِها سببُ شُيوعِ الأُلْفَةِ والمودَّةِ والإحسانِ بينهم.

قال جريرُ:

أمـازِنُ يـا ابـنَ كَعْـبٍ إنَّ قَلبـي لكـمْ طـول الحيـاةِ لَغَيْـرُ قـالِ
غطـاريفٌ يَبيـتُ الجَـارُ فـيهم قريـرَ العـينِ في أهـلٍ وَمـالِ[٤]

---

(١) ديوانُ المعاني (١/ ١٥٤).
(٢) انظر كتابي (حُسْنُ الجوارِ خُلُقُ الأبرارِ) تَجِدْهُ كأنهُ نهرٌ تدفَّقَ في حديقةِ نرجسٍ - إن شاءَ اللهِ -.
(٣) ديوانُ أبي تَمَّامَ (٤٩٧).
(٤) ديوانُ جريرٍ (٥٢٢).

الخاتمةُ

لكــنَّ ذلــكَ مجهــودي أتيــتُ بــه ومَــنْ يُقَــصِّر وراءَ الجَهْــدِ لَــمْ يُلَــمِ

فقد آن لي أن أُلقِيَ القَلَم وأُرِيْحَ الخاطِرَ أعقابَ هذهِ الرحلةِ؛ لِنَخْلُصَ إلىٰ أنَّ سلامةَ القلبِ سلامةُ الدينِ وعافيةُ الدنيا؛ فالقَلْبُ بيتُ الرَّبِّ - جَلَّ - جَلَالُهُ - فلا يَحْسُنُ أَنْ ينشغِلَ بغيرِ ما خُلِقَ له، من الإخلاصِ والحُبِّ والخوفِ والرجاءِ وسائِرِ أنواعِ الطاعاتِ المتعلقةِ بِهِ.

وهذا جَهْدُ مُقِلٍّ ﴿لِيُنفِقْ ذُوسَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ فإِنْ يَكُ صوابًا فمِنَ اللهِ وإِنْ يَكُ خطأً فمن نفسي والشيطانِ، فإذا رأيتَ القَلَمَ قد نَدَّ وشَرَدَ، فالنصيحةُ هديَّةُ الحبيبِ، وصِلَةُ القريبِ.

دُونَــكَ الكَــشْفَ والعتــابَ فَقَــوِّمْ بهمــا كُــلَّ خُلَّــةٍ عوجــاءِ

والحمدُ للهِ خَيْرُ ما بُدِيءَ به الكلامُ وخُتِمَ.

وكَتَبَهُ/

فيصَلُ الحاشديُّ

مكةُ ١٧ صَفَرُ ١٤٤١

الفَهْرَسُ

تصدير ٥
تعريفُ سَلامةِ الصَّدْرِ ٦
فضائِلُ سلامةِ الصَّدْرِ ٨
١ – أَنَّها من صفاتِ المؤمنِ ٨
٢ – أَنَّ صاحِبَ القلبِ السليمِ من أفضلِ الناسِ ٩
٣ – أَنَّها من أسبابِ مَغْفِرَة الذنوبِ ٩
٤ – أَنها صفةٌ من صفاتِ أهلِ الجَنَّةِ ١٠
٥ – أَنَّها من أسبابِ دُخولِ الجَنَّةِ ١١
٦ – أَنَّها تقطَعُ أسبابَ الذُّنوبِ ١٢
٧ – أَنَّها من أسبابِ راحةِ القَلْبِ ١٣
٨ – أَنَّها من أسبابِ طِيبِ النَّفْسِ ١٤
٩ – أَنَّها من أسبابِ حَمْلِ الأقوالِ والأفعالِ علىٰ معانِيها الحَسَنَةِ ١٥
١٠ – أَنَّها صفةٌ من صِفاتِ نبيِّنا ﷺ ١٦
١١ – أَنَّها صفةٌ من صِفاتِ الصحابةِ رضي الله عنهم ١٧
١٢ – أنها صفةٌ من صفاتِ العُلَماءِ ١٨
أسبابُ سلامةِ الصدرِ ٢٢
١ – الإخلاصُ ٢٢
٢ – النصيحةُ لِأَئِمَّةِ المسلمينَ ٢٤
٣ – لُزُومُ جماعةِ المسلمينَ ٢٥

٤ – العِلمُ النافِعُ مع العملِ الصَّالِحِ ٢٥
٥ – الابْتِعَادُ عنِ الذُّنوبِ والمعاصِي ٢٦
٦ – صَومُ رمضانَ مع صومِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شَهْرٍ ٢٧
٧ – البشاشَةُ والبِشْرُ ٢٨
٨ – إفشاءُ السَّلامِ ٣٠
٩ – بعث السلام ٣٠
١٠ – الكلمةُ الطَّيِّبَةُ ٣١
١١ – الهديَّةُ ٣٣
١٢ – الصَّدَقَةُ والإحسَانُ ٣٣
١٣ – أنْ يُحِبَّ المؤمنُ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ٣٤
١٤ – دَفْعُ السَّيِّئةِ بالحَسَنَةِ ٣٥
١٥ – التَّغَافُلُ ٣٦
١٦ – الحِلْمُ ٣٨
١٧ – المُدَارَاةُ ٣٩
١٨ – عَدَمُ مُجاراةِ السُّفَهاءِ ٤١
١٩ – نِسْيَان الأَذيَّةِ ٤٥
٢٠ – الزيارةُ ٤٧
٢١ – امْتِثَالُ الأَدَبِ في الرُّجوعِ من البابِ ٤٨
٢٢ – الصَّبْرُ ٤٩
٢٣ – الرِّضَا ٥٤
٢٤ – إِصلاحُ ذاتِ البَيْنِ ٥٦

٢٥ – الاعْتِذَارُ ٥٨
٢٦ – العَفْوُ والصَّفْحُ ٥٩
٢٧ – الدعاء ٦٢
مَوانِعُ اكتسابِ سلامةِ الصَّدْرِ ٦٤
١ – تحريشُ الشَّيطانِ ٦٤
٢ – إِغواءُ قرينِ الإنسانِ ٦٥
٣ – الغَضَبُ بالباطِلِ ٦٦
٤ – الحِقْدُ ٧٣
٥– الحَسَدُ ٧٦
٦– الغِيْبَةُ ٨٠
٧– النَّمِيْمَةُ ٨٥
٨– سُوْءُ الظَّنِّ ٨٨
٩ – الخُصُوْمَةُ ٩٢
١٠– كَثْرَةُ الخُلْطَةِ ٩٤
١١ – حُبُّ الشُّهْرَةِ والرياسَةِ ٩٤
١٢ – المِراءُ ٩٦
١٣ – الجِدالُ بالباطِلِ ٩٧
١٤ – الإفراطُ في المُزاحِ ٩٨
١٥ – الإفراطُ في العتابِ ١٠٠
١٦ – الهجرُ فوقَ ثلاثةٍ ١٠٣
١٧ – التَّكَبُّرُ عن قَبولِ الهديَّةِ ١٠٥

صُورٌ من سلامةِ الصَّدْرِ.....١١٠
١ – سلامةُ الصَّدْرِ للعامَّةِ.....١١٠
٢ – سَلَامةُ الصَّدرِ مع الخاصَّةِ ١١٠
٣ – سَلَامةُ الصَّدرِ مع وُلاةِ الأَمْرِ.....١١١
٤ – سَلَامَةُ صدورِ الوُلاةِ للرَّعيَّةِ ١١٢
٥ – سَلَامةُ صدورِ العلماءِ وطلبةِ العِلْمِ.....١١٢
٦ – سلامةُ الصدرِ للأرحامِ ١١٣
٧ – سلَامةُ الصَّدْرِ للجيرانِ ١١٤
الخاتمةُ.....١١٥
الفَهْرَسُ.....١١٧